الأمير يوسف كمال
١٨٨٢-١٩٦٧
"دراسة بيوجرافية"

د. عبدالله فوزي الجنايني
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة بنها

مقدمة

إن دراسة تاريخ الشخصيات أمر ضروري ومهم، لا لتمجيدها أو قدحها، إنما لمعرفة حقيقة دورها بإيجابياته وسلبياته، في إطار موضوعي يتسم بالعمق والحيدة والتحليل والنقد، حتى نتعرَّف إلى أي مدى أفادت نفسها ومجتمعها ووطنها، في ظل الإمكانات التي توفرت لها، ولعلنا نقدم من خلالها نموذجًا يرى البعض من المعاصرين الاحتذاء به.

ودراسة الشخصيات ليست بالأمر اليسير على الباحثين، إذ يتطلب الأمر الإلمام بكافة خيوط وجوانب الشخصية، وما يحيط بها من عوامل وظروف وأحداث، لما يشكله ذلك من دور مهم في تكوينها، وذلك لفهم وتفسير مواقفها وآرائها السياسية، ودورها الاقتصادي والفكري بشكل صحيح.

ولقد كان لعصر أسرة محمد علي جوانبه الإيجابية وكذلك السلبية، وتعددت الكتابات، وأدلى كل منها بدلوه حول تاريخها وحقيقة ما قدمته، ومنها ما اتصف بالحياد، ومنها من كان على النقيض من ذلك، وقد انصب معظمها على أمراء المستوى الأول الذين حظوا باهتمامها، وتصدروا عناوينها، في حين أن هناك عددًا آخر قد توارى عن المشهد – بقصد أو بدون – رغم أهميتهم، ومن ثمَّ تأتي هذه الدراسة لتتناول أحد أمراء هذه الأسرة البارزين، وهو الأمير يوسف كمال لمعرفة حقيقة دوره، وما قدَّمه للبلاد في ظل ما امتلكه من إمكانات كثيرة، فتقدم لنا كافة جوانب الشخصية مكتملة، لا اقتطاع جزء منها، لكي تعطي رؤية تاريخية واضحة لكافة جوانبها، وذلك عبر عدد من المحاور منها: ما اختص بسيرته؛ فضلاً عن دوره السياسي، لاسيما وأنه عاصر فترة مهمة من تاريخ مصر الحديث والمعاصر، كانت البلاد تموج فيها بأحداث تاريخية مهمة في سبيل نيل الاستقلال والسيادة، وترصد أيضًا الجانب الاقتصادي؛ لتبرز ما امتلكه من أدوات ومقومات، وتتعرض كذلك للجانب الاجتماعي وإسهاماته في المجال العلمي والثقافي على المستوبين الخاص والعام؛ إضافة إلى دوره المجتمعي، وما قدمه في سبيل النهوض بمصر وتنميتها.

المبحث الأول: السيرة

إن الحديث عن الأمير يوسف كمال، وخصوصًا في طور الميلاد والنشأة، وكذلك تربيته وتعليمه يكتنفه الغموض، ولعل مرد ذلك إلى عدة أمور منها: أنه لم يكن من أمراء الدرجة الأولى في البيت الحاكم؛ فضلاً عن أنه لم يكن موظفًا رسميًا، ومن ثمَّ لا يوجد له سجل خدمة بدار المحفوظات المصرية للاطلاع عليه، كما أنه لم يترك مذكرات خاصة، تتناول سيرته وأعماله، وذلك على الرغم من ثقافته الواسعة.

أما عن ترجمته الخاصة فهو: يوسف كمال بن الأمير أحمد كمال باشا ابن الأمير أحمد رفعت بن إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الكبير، وُلد في 17 ديسمبر 1882- أى بعد شهور من الاحتلال البريطاني لمصر-، ووالدته تُدعى نازپرور، وهي الزوجة الثانية لأبيه، الذي كان قد سبق له الزواج من البرنسيسة جميلة فاضل مطلقة الخديو إسماعيل، ولكنه لم يُرزق منها بأولاد[1].

والمعلومات حول نشأته وتعليمه غير متوفرة، ومن ثمَّ انصب الأمر حول ما أشير إلى أنه تلقى تعليمًا راقيًا في مصر، داخل قصر أبيه، وبعدها سافر إلى أوربا لكي يصقل من نفسه وثقافته، وعندما عاد، قرر أن يولي اهتمامه وجهوده لتنمية وتطوير الثقافة والفنون في مصر[2].

تزوج من كريمة ابنة الأمير محمد عباس حليم ابن الأمير محمد على عبدالحليم بن محمد على باشا في 17 يناير 1937[3]، وفي اليوم التالي صدر أمر ملكي بمنحها لقب أميرة، وفقًا لقوانين ونظام العائلة المالكة[4]، وعلى الرغم من ذلك لم يدم هذا الزواج طويلاً إذ سرعان ما طلقها في 29 أكتوبر من العام ذاته، ولم يرزق منها بأولاد[5]. كانت هذه هي الزيحة الوحيدة للأمير يوسف كمال، ولعل لهذا الأمر دلالاته، نظرًا لقصر مدتها وتفردها، مما يعطى دلالة على شخصيته الجانحة للحرية والإنطلاق.

والأمير يوسف كمال كماء جاءت ترجمته في موسوعة الأعلام لخير الدين الزركلي هو: رحَّالة وجغرافي مصري، يأتي في مقدمة أمراء الأسرة المالكة الذين

اشتهروا بحب الترحال والصيد والقنص، وكان شديد الولع باصطياد الوحوش المفترسة، وقد غامر في سبيل ذلك إلى أفريقيا الجنوبية والهند وغيرها من البلدان، وكان يُحنِّط بعض فرائسه في معامل أوروبا ليزين بها قصره، كما صنع من أنياب الفيلة – مثلاً – ومن جلودها بعض الأدوات المنزلية، وأنفق على تأليف وترجمة الكتب المال الكثير، وطبعت على حسابه مصادر تاريخية وجغرافية لها من الأهمية والقيمة الكبيرة في علمَيْ التاريخ والجغرافيا. وهو الأمير العاشق للفنون الجميلة والآثار والطرب والموسيقى بكافة ألوانها(6).

مكث الأمير يوسف كمال في مصر منذ ميلاده وحتى قيام ثورة 23 يوليو1952، وتخللت تلك الفترة رحلات صيد واستكشاف وترفيه في قارتي أفريقيا وآسيا؛ فضلاً عن رحلات سياحية وعلاجية في أوربا، واستمر الحال كذلك حتى قيام الثورة، إذ سافر إلى أوربا، وقضى حياته الباقية متجولاً حتى وافته المنية في لبنان أوائل فبراير 1967، ووفقًا لرغبته دفن بالقاهرة في 9 من الشهر ذاته بمدافن الأسرة الكائنة بالإمام الشافعي(7).

نُسجت حول الأمير يوسف كمال قصص، ورسمت صور سلبية عقب الثورة، من خلال بعض الأعمال الدرامية التي عرضت في خمسينيات وستينيات القرن الماضي؛ ولعل أشهرها أوبريت "وداد الغازية"، للكاتب جليل البنداري، والتي عرضت على المسرح في منتصف الستينيات، وجسَّد فيه الفنان عادل أدهم شخصية يوسف كمال، وقُدِّم في هيئة الأمير الفاسد اللاهي الذي ينساق وراء نزواته، وهي صورة مناقضة للحقيقية(8).

وفي السياق ذاته دعمت رواية " برنس الجهات الأربع " للأديب مصطفى مروان، الصورة السلبية للأمير، إذ سجلت جزءاً من تاريخ نجع حمادي والحالة الاجتماعية بها منذ آلاف السنين وحتى سيطرة الأمير عليها، والتغيرات التي حدثت بعد ذلك، وقد

احتوت على كثير من المشاهد التي صورت القرية والباشا، حيث لقبه الكاتب بـ " فرعون قنا"، الذي استباح وسيطر علي كل شيء، أرضًا وأُناسًا[9].

وعلى النقيض من ذلك، جاءت "رواية 1935" للروائي باسم عادل تلتقط قطوفًا أخرى مغايرة من شخصية الأمير يوسف كمال، فأبرزت دوره الاقتصادي ودوره التنموي في نجع حمادي، وكيف أنه من خلال الدائرة اليوسفية (نسبة إلى اسمه) التى كانت تدير أطيانه فى نجع حمادى، قد ترك نماذج حية فى الوحدة الوطنية بين مسلمى وأقباط مصر، من خلال تدخله فى حل مشاكل الفتنة بين الأهالي؛ بالإضافة إلى تبرعه بأموال طائلة للمشاركة فى تنمية مصر، ولاسيما فى مجال التعليم، ومشاركته القوى الوطنية فى انتفاضة عام 1935 ضد النظام القائم الذى ينتمى إليه، وكيف جردته ثورة 1952 من أملاكه من أطيان وقصور وأموال، وكان مما ذكره عن الأمير " الأمير يوسف كمال .. شخص فريد .. ومحير للعقول التائهة في آتون ظلام الليل البهيم، حين تصر أن تفقد بشريتها وبينهم بشر بعذوبة الملائكة، فقد كان تعريف الإنسانية يتوقف كثيرًا على عتبات هذا الأمير ليجتر منه أرفع الصفات ومكارم الأخلاق" [10].

على أية حال تختلف دراسة الشخصيات عن تناول الأحداث والوقائع، فالشخصية معقدة، لها وعليها ومعها وضدها فهي في النهاية بشر، وما نسج من صفات إيجابية وسلبية حول شخصية الأمير، أمر منطقي، يحدث عندما ينقضي نظام سياسي، ويأتي نظام جديد مختلف معه تمامًا، ولكل نظام مؤيديه ومعارضيه؛ لذا وجدنا من يناصره ويستميت في الدفاع عنه، ويترحمون عليه، وآخرين يصورونه "بالعهد البائد" الفاسد، وشأن يوسف كمال في ذلك شأن الكثير من أمراء أسرة محمد علي الذين كثر عنهم القيل والقال.

المبحث الثاني: الدور السياسي

شغلت التطورات السياسية التي شهدتها الساحة المصرية، والتي ارتبطت حينذاك ارتباطًا وثيقًا بالدولة العثمانية وبريطانيا، جانبًا مهمًا من اهتمامات الأمير يوسف كمال، وكانت أولها حرب البلقان (1913/1912)، التي مثلت الدولة العثمانية أحد طرفيها، وجمهوريات الجبل الأسود والبلقان طرفها الأخر، إذ أقدم الأمير على التبرع بمبلغ 300 جنيه تلبية للدعوة التي وجهتها الدول العثمانية إلى جميع مسلمي العالم للاكتتاب لإعانتها في حربها. زد على ذلك أنه تولى رئاسة اللجنة التنفيذية التي انبثقت عن جمعية الهلال الأحمر المصري، والتي تولت تجهيز البعثات الطبية واحتياجاتها، لإرسالها إلى ميادين القتال، وقد قام الأمير بشراء كل مستلزمات البعثة من مخازن الجيش المصري، وبلغت تكاليفها نحو 3.694 جنيهًا، كما تبرع بعشرة من الجياد لنقل حمولات البعثة، ووعد بأن يتبرع بمثلها عند إرسال أية بعثة في المستقبل[11].

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى(1914-1918)، والتطورات التي شهدتها الساحة المصرية مثل إعلان الحماية البريطانية، وما ترتب على ذلك من تداعيات ودخول مصر الحرب إلى جانب بريطانيا، لم نرصد له مواقف سياسية أو تصريحات حيال تلك الأحداث، لنتعرف على مواقفه، وإنما ظهرت بعض الإشارات التي أظهرت موقف الأمير، ولو بشكل ضمني، كان من بينها تصريح المندوب السامي البريطاني هنري مكماهون Henry McMahon عن الأمير، والذي نقتضب منه وصفًا له بأن: " مشاعره نحو الاحتلال طيبة، حتى أنه قضى في القاهرة الشهور الخمسة الأخيرة من عام 1914"، وهو ما كان محل تقدير الجانب البريطاني، لاسيما وأن بعض الأمراء الآخرين مثل كمال الدين حسين قد تغيبوا عمدًا عن مصر في ظل تلك الظروف[12]، كما أنه تبرع بمبلغ مائة جنيه للجنة إعانة أسرى الحرب، التي كانت مشكَّلة تحت رئاسة مكسويل Maxwell (القائد العام للقوات البريطانية في مصر)، وتحت رعاية السلطان حسين كامل[13].

وهذا لا يعطي دلالة واضحة عن رؤيته للأحداث سواءً كان مؤيدًا أم معارضًا، وخاصة أن الأحداث كانت متسارعة على الساحتين الداخلية والعالمية، وربما أراد من ذلك كسب ودّ بريطانيا التي كانت تملك الحل والعقد، عسى أن يكون له مكان في عملية الحكم في المستقبل القريب.

ومما يدلل على الاستنتاج السابق أنه أثناء اندلاع الحرب، شغلت بريطانيا قضية جوهرية، وهي مسألة وراثة العرش، وخاصة أن السلطان حسين كامل كان قد تعرض لمحاولتي اغتيال، ومن ثمَّ حرصت على تقرير مسألة من يخلفه، وفي البداية حصرت اختياراتها في ثلاثة من الأمراء، جاء في مقدمتهم ابنه الأمير كمال الدين، وأخيه الأمير أحمد فؤاد، ثم الأمير يوسف كمال ابن عمه، وفي هذه المناسبة قدم المندوب السامي البريطاني وصفًا للشخصيات الثلاثة على النحو التالي:

"**الأمير كمال الدين حسين:** الابن الوحيد لعظمة السلطان من زوجته الأولى التي طلقها؛ المرحومة الأميرة عين الحياة. في الأربعين من عمره، تلقى تعليمه أولاً في القاهرة على أيدي مربين خصوصيين، ثم بعد ذلك في النمسا حيث دخل كلية تريزيانوم Theresianum التي سبق للخديوي السابق أن تلقى تعليمه فيها. يجيد الإنجليزية. تزوج بشقيقة الخديوي السابق – مطلقة جميل طوسون– ولم يعقبا. وهو معنيٌّ عناية خاصة بالشئون الزراعية، كما أنه رياضي بارز في استخدام السلاح، غير أنه خجول وقليل الاختلاط، وليس معروفًا بدرجة كافية كشخصية عامة. ولم يُعلم عن الأمير كمال الدين أبدًا بأنه محبذ للاحتلال البريطاني. ويقال إنه تغيب عمدًا عن مصر خلال الفترة الصعبة التي أعقبت تولى أبيه، كما يقال إنه لا يخفي إعجابه بالألمان. وهو متأثر في ذلك – بحق– بزوجته التي أخذت عن أخيها، الخديو السابق، أسوأ صفاته.

الأمير أحمد فؤاد: الابن السادس للخديوي إسماعيل. كانت والدته أَمة. وهو في الخمسين. تلقى تعليمه في القاهرة حتى الثامنة، ثم تلقى دروسه في كلية تورين الدولية

بين عامي 1874و 1880، واستكمل تعليمه في المدرسة العسكرية في نفس المدينة. تزوج من الأميرة شفيقه (Shafica يقصد شيوه كار) عام 1893، غير أنه طلقها بعد أن أنجب منها بنتًا، مما عرَّضه لغضب الخديوي، وهو الأمير الوحيد من الأسرة الحاكمة الذي ظل يلعب دورًا عامًّا داخل مصر وخارجها، فقد تولى رئاسة الجامعة المصرية عند نشأتها عام 1908. وعمل فيها لعدة سنوات بنشاط ظاهر .. واستقال منها بعد أن تطلع لاعتلاء عرش ألبانيا. ونتيجة لتعليمه فهو يتعاطف بقوة مع إيطاليا، غير أنه يُظهر في كل مناسبة ميوله الإنجليزية. يختلط بالأوربيين الذين يحظى بحبهم، وإن كان يلقى التقدير بين المصريين والشوام أكثر من الإنجليز.

الأمير يوسف كمال: ابن الأمير أحمد كمال، وأكبر أحفاد إبراهيم باشا. يبلغ الثلاثين من العمر، وهو شديد الثراء، ومغرم برياضة استخدام السلاح. شديد الاهتمام بالفن والعمارة العربية، ويقدم بين الحين والآخر هدايا قيمة للمتحف الحربي، كما أنه أقام مدرسة للفنون في القاهرة وأهداها لوزارة المعارف. يتحدث الإنجليزية بطلاقة، ومشاعره نحو الاحتلال طيبة، حتى إنه قضى في القاهرة الشهور الخمسة الأخيرة من عام 1914. رجل أنيق وله مظهر متميز يتسم بالحياء، ولكن ليس إلى حد الخجل مثل الأمير كمال الدين، غير أنه ليست له الخلطة الاجتماعية التي يتمتع بها الأمير أحمد فؤاد، وهو غير متزوج"[14].

ولعل الحيرة بين اختيار أي من المرشحين هي التي دفعت المندوب السامي البريطاني إلى مطالبة حكومته بإرجاء الموضوع برمَّته، ولاسيما وأن الحرب كانت محتدمة آنذاك، ولم يكن الوقت مناسبًا لطرح مثل هذا الموضوع الحساس، وعلى الرغم من ذلك سرعان ما لاح الموضوع في الأفق من جديد في أواخر أغسطس 1917، مع اعتلال صحة السلطان حسين كامل التي كانت تُنذر بإمكانية وفاته، وخلال تلك الفترة دارت مناقشات خاصة بين دوائر الحكم في لندن والقاهرة، إلى أن استقر المقام على اختيار الأمير فؤاد وريثًا للعرش، وجرت الترتيبات، وتنازل الأمير كمال الدين

عن حقه في وراثة العرش، ونودي بفؤاد سلطانًا في 10 أكتوبر 1917، ولم يكن قد مضى أربع وعشرون ساعة على تشييع جثمان حسين كامل إلى مثواه الأخير[15].

ولعل استبعاد يوسف كمال مرده عدة أمور، منها: أنه ليس من الفرع الأسري الحاكم، فهو ينتسب لأحمد رفعت باشا، بينما الآخرين ينتسبون للفرع الإسماعيلي (الخديو إسماعيل)، وهذا يقلل من فرصته؛ فضلاً عن ذلك لعبت الحالة الاجتماعية له دورًا ومكانة، فهو غير متزوج، وكان لا يميل لذلك، وربما يكون ذلك غير مقبول لدى الشعب المصري، كما أنه صغير السن مقارنة بنظيره الأمير فؤاد، زد على ذلك تحمس الإدارة البريطانية لأحمد فؤاد، الذي نال طرح اسمه قبولاً أكبر لدى البيت الحاكم. على أية حال ربما يلقي هذا التنافس بظلاله على مواقف يوسف كمال من فؤاد، وهذا ما سيظهر لاحقًا.

واستكمالاً لمواقف يوسف كمال، عقب انتهاء الحرب، فقد اشترك في عضوية لجنة مساعدة منكوبي الحرب من المصريين، التي تكوَّنت تحت رعاية السلطان فؤاد، إلى جانب الأمراء: كمال الدين حسين وكامل فاضل وعمر طوسون، وكانت مهمتها جمع التبرعات لعائلات المصريين الذين لقوا حتفهم في ميادين الحرب، وكذلك مساعدة الأشخاص الذين عادوا أو سيعودون إلى وطنهم مصابين بعاهات تجعلهم غير قادرين على الكسب بالعمل، وقد تحدد مقرَّان للجنة الاكتتاب، كان أولاها: مقر دائرة الأمير يوسف كمال بالقاهرة، وثانيها: دائرة الأمير عمر طوسون بالإسكندرية، وبقد بلغ مجموع ما تبرع به السلطان والأمراء نحو عشرين ألف جنيه[16].

لم يتوقف دور يوسف كمال عند هذا الحد، بل امتد إلى ساحة العمل الوطني، فعندما فُتح الباب للتبرع بالمال لتعزيز جهود الوفد المسافر إلى باريس، كان الأمير من بين المتبرعين بألفي جنيه[17]؛ فضلاً عن ذلك كان أحد ستة أمراء أصدروا نداء إلى الأمة في 3 يناير سنة 1920 أثناء أحداث المرحلة الثانية من ثورة 1919، وجاء فيه: "يوم ما اقتضت الإرادة الصمدانية إيداع مصير مصر بين يدي من كان خالق

مصر الحديثة وخادمها منقذ المصري ومرشده ألا وهو جدنا الأكبر ... وحيث إن الأمة المصرية الشريفة التي هي سبب عظمتنا وشوكتنا وفخارنا قد قامت بالواجب عليها قيامًا يجعل لها ولنا أعظم منزلة نتفاخر بها في العالم بأسره، وبما أنه لم يبق من جميع طبقات أمتنا العزيزة طبقة إلا ونادت بأعظم صراحة، وأجلى بيان مطالبة بحقوقها الشرعية المقدسة والحقة، فقد جئنا نحن أولاد محمد علي لا لنشارك أمتنا في أمانيها ومقاصدها فقط، بل لنضم صدورنا إلى صدور أفرادها، ونجعل أيدينا في أيديهم، حيث إننا لسنا إلا روحًا واحدًا، حتى نكون جسمًا لا يجبر، وقوة لا تقهر، فنطالب بحقوق وطننا، نطالب بحقوق أمتنا، نطالب بحقوقها الشرعية، نطالب باستقلال مصرنا تامًّا مطلقًا بلا قيد ولا شرط". وقد وقَّع على هذا البيان الأمراء كمال الدين حسين وعمر طوسون ومحمد علي إبراهيم ويوسف كمال وإسماعيل داود ومنصور داود[18].

وقد أرسل الأمراء الستة في اليوم نفسه مذكرة إلى اللورد ملنر Milner رئيس اللجنة الشهيرة التي عرفت باسمه، والتي جاءت إلى مصر لتقصي الحقائق والتحقيق في مطالب الأمة بالاستقلال، وقاطعتها الحركة الوطنية، وصارت مقاطعة المصريين للجنة مضرب الأمثال، وقد جاءت رسالة الأمراء الستة إلى اللجنة مؤيدة في نصها وفحواها للموقف الوطني المقاطع للجنة، وأعلنوا تضامنهم مع الشعب بجميع طبقاته في المطالبة بالاستقلال الكامل، وحصول الشعب على حقوقه المشروعه، ذلك الموقف الذي أجمعت عليه غالبية الأمة بأحزابها وطبقاتها المختلفة[19]، وقد ورد بها: " بما أن جميع طبقات الأمة المصرية أعلنت شعورها نحو وطنها، وعبَّرت عن أمانيها طالبة الاستقلال التام لبلادها، وبما أن هذا العمل الصادر من الشعب المصري برهان ساطع قاطع على إخلاصه ... فعليه نقدم إليكم هذه المذكرة لنحيط جنابكم علمًا أننا لا نقتصر على الموافقة التامة على جميع مطالب الأمة المصرية بل ننضم إليها ليكون منا جسم واحد للمطالبة بحقوق وطننا والتمسك بالاستقلال التام لمصر "[20].

حظي بيان الأمراء وكتابهم إلى لجنة ملنر بترحيب بالغ من سعد زغلول، الذي أُبرق بهما إليه وهو في باريس، فأرسل بدوره خطابًا عبَّر فيه عما شمله من سرور وابتهاج بهذا العمل؛ فضلاً عن ذلك كان ذلك الإجراء محل تقدير وإعجاب مختلف طوائف الشعب المصري[21].

ويبدو أن تحركات الأمير يوسف كمال قد أثارت دوائر الحكم في مصر، فقبع تحت الرقابة الأمنية، إذ احتوت وثائق عابدين على ملف تضمن عشرين تقريرًا أمنيًا عنه خلال الفترة من 20 يناير حتى 17 مايو 1920، والتقارير عبارة عن قصاصات من الورق غير معنونة من الداخل، ويوجد في نهاية كل تقرير توقيع مختصر "ع. ز"، ثم تاريخ التقرير، وتبدأ جميع التقارير بكلمة أفندم دون ذكر أي اسم، وقد رصدت هذه التقارير تحركات ونشاط الأمير أولاً بأول خلال تلك الفترة[22].

وعلى الرغم من ذلك تواصلت مساعي يوسف كمال الوطنية، إذ ترأس المأدبة الوطنية التي أُقيمت، في فندق شبرد[23] في 13 نوفمبر1920 إحياء لذكرى عيد الجهاد الوطني، وحضرها نحو أربعمائة مدعو مثَّلوا كافة طوائف الشعب المصري، وقد افتتحها الأمير بخطبة بليغة، أكد فيها على تضامنه وتضامن أمراء أسرة محمد على مع الشعب المصري في مطالبه الخاصة بالاستقلال الكامل غير المنقوص، وقد جاء فيها: "إخواني، إن أكبر ما نفخر به اليوم نحن أبناء محمد على ذلك الأمر العظيم الذي ناله في حياته وورثناه إياه بعد مماته، وهو أننا مصريون أمنا مصر وأبونا النيل. فنحن وإياكم أخوة يجب علينا جميعًا الاشتراك في خدمة وطننا وبلادنا، وإننا لا ننسى أبدًا ما فرضه علينا جدنا يوم قال لنا: ليس لكم يا أولادي وطن دون مصر، فإن لم تسلكوا سبيلي وتتبعوا خطواتي فلا علاء لكم، وأنا منكم بريء"[24].

ومضى الأمير يوسف كمال يثني على جهود الوفد المصري برئاسة سعد زغلول، وأخذ يحث الحاضرين على الصبر ومواصلة الجهاد حتى يتحقق الاستقلال الكامل للبلاد، قائلاً: "وكلت الأمة وفدها تحت رئاسة سعد زغلول باشا وأولته ثقتها وكلفته

بقضيتها، وبعد أن لاقى ما تعلمون تغلبت إرادة الأمة القوية فسافر إلى أوربا وبمجرد وصوله إليهم صدم صدمة قوية بإقرار الأمم على الحماية. ولكنه بجده وجهاده المتواصل وبفضل اتحاد الأمة وقوة الحق تفتحت أمامه كثير من الأبواب التي كانت موصدة. ولولا تشدد الحكومة الإنجليزية أخيرًا لنلنا اليوم استقلالنا المنشود. ولكن هذا التشدد لا يمكن أن يثني عزيمتنا بل يزيدنا اتحادًا، ويضاعف مجهوداتنا في نيل حقوقنا بالطرق المشروعة. ومادام حقنا ساطعًا فلا شيء يخيفنا. فقد علمتم وعلم إخواننا الأبطال المجاهدين في سبيل القضية المصرية أن النجاح يتوقف على الصبر في متابعة الجهاد وعلى اتحاد الأمة المقدس"[25].

وفي نهاية الاجتماع، كلف المجتمعون محمود سليمان رئيس لجنة الوفد المركزية بإرسال برقية إلى سعد زغلول، ورد بها: "اجتمع اليوم في مأدبة أقيمت في فندق شبرد 400 من ممثلي الأمة المصرية من أمراء، وعلماء، وآباء روحانيين، ووزراء سابقين، وأعضاء في الجمعية التشريعية، وتجار، ومزارعين، وقضاة، ومحامين، وأطباء، وضباط، ومعلمين، ومهندسين، وموظفين، وممثلي العمال، ورأس الحفلة حضرة صاحب السمو الأمير الجليل يوسف كمال، وكلفوني أن أقدم إلى معاليكم وإلى رفقائكم تحيتهم، وأن أبلغكم أن الأمة تؤيد الوفد المصري بكل ما أوتيت من قوة اتحاد وتضامن في موقفه الحاضر، وعلى الأخص إصراره على النص على إلغاء الحماية قبل كل شيء، وقد وضعت الأمة بين يدي الوفد أمانة الدفاع عن قضيتها إلى النهاية وأولته ثقتها التامة"[26].

نال موقف الأمير يوسف كمال تقدير سعد زغلول، فقد أعرب عن سعادته البالغة بالحدث بمجرد علمه به بالقول: " كان لهذا النبأ وقع جميل في نفسي ونفس العارفين من إخواني، ولكنه كان صاعقة على غيرهم"[27]، ومن ثَّم أبرق إليه شاكرًا إياه على ترأسه المأدبة الوطنية، قائلاً: "باسم الوفد المصري أشكر لكم شكرًا خالصًا ترؤسكم للمأدبة الوطنية التي أقيمت في فندق شبرد ... ولاجرم أن المعونة الفعلية التي قمتم

بها تدخل السرور العظيم في قلوب جميع المصريين الذين احتفظوا كل احتفاظ بأمنية الاستقلال المقدسة التي ورثوها عن محمد على الكبير"[28].

إضافة إلى ذلك، كان للحدث صداه على الصعيد الشعبي، فقد توالت البرقيات على يوسف كمال، تقديرًا لموقفه وخطابه، وكان من بينها برقية جاء فيها:" تلوْنا خطبتكم مرارًا فكانت بردًا وسلامًا على قلوبنا المتعطشة إلى اشتراك ملوكها في السير بها إلى معارج الرقي والفلاح، كما سار بها من قبل ذلك الرجل الكبير والمصلح العظيم جدكم"[29].

وسجل الأمير يوسف كمال موقفه عندما صدر تصريح 28 فبراير 1922، والذي بمقتضاه حصلت مصر على استقلال قيد بأربعة تحفظات، إذ بادر إلى جانب مجموعة من الأمراء[30]، لم يظهروا اقتناعًا بمرماه السياسي، ورأوا أن مركز مصر السياسي لم يتغير من الوجهة السياسية العملية، بإرسال خطابٍ في 12 مارس من العام نفسه إلى السلطان فؤاد، بينوا فيه رأيهم في هذا التصريح. معلنين تضامنهم الكامل مع المطالب الشرعية التي أجمعت عليها الأمة المصرية، وهي:

- إعلان استقلال مصر مع سودانها وسيادتها التامة في الداخل والخارج.
- تخويل جماعة وطنية حق مناقشة الرسالتين التي قدمهما المندوب السامي البريطاني، نيابة عن حكومته، للحكومة المصرية والرد عليهما.
- أن يكون من حق الجماعة الوطنية وحدها أن تحضر مشروع الدستور.
- أن تجرى الانتخابات بكامل الحرية بعد إلغاء الأحكام العرفية، وإعلان حرية الصحافة، والعفو عن المعتقلين السياسيين، وعودة المنفيين، وفي مقدمتهم سعد زغلول.

وأنهوا خطابهم بالقول: " إن بقاء الحالة الحاضرة مع وجود الجيوش البريطانية في مصر مما يؤذي الاستقلال؛ لأن هذه الأحوال لا تستوي هي ومبادئ الحرية الشخصية"[31].

وعندما أعلنت بريطانيا إلغاء الحماية والاعتراف بمصر دولة مستقلة، وفقًا لتصريح 28 فبراير، ذكرت صحيفة الليبرتيه La Liberte تعليقًا للأمير يوسف كمال على الحدث، ورد به: " ولقد أبان الأمير يوسف كمال الأعمال التي يجب أن تتبع ذلك التاريخ إذا أريد أن تقتنع الأمة وأن يتحقق الاستقلال، وهي إعادة سعد زغلول ثم الانتخاب الشعبي الحر"[32].

وعقب ذلك تصدر الأمير يوسف كمال المشهد بدعوته الأمراء والنبلاء وكبار رجال الدولة ومفكري الأمة للاجتماع في 24 مارس من العام نفسه، فتصدت الحكومة لهذا الاجتماع، وأصدرت بلاغًا رسميًّا في اليوم السابق لانعقاده بمنعه؛ بحجة أن هذا الاجتماع سيكون سببًا في حدوث مشاغبات تخل بالنظام العام، وهو ما أثار سخط الرأى العام، لا سيما وأن الحكومة سمحت لموالين لها بإقامة حفل بعد يومين من موعد هذا الاجتماع (أى في 26 مارس) في فندق الكونتيننتال بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد الملك فؤاد[33].

على أية حال، لقد كثرة التكهنات والإشاعات حول طبيعة هذا الاجتماع، وبدأ البعض يشكك في ولاء بعض الأمراء للملك، وعلى رأسهم يوسف كمال، مما أثار حفيظة فؤاد وحكومته، وهو الأمر الذي دفعه للإدلاء بحديث جديد لصحيفة الليبرتيه دحض فيه هذه المزاعم، إذ أكد في بدايته ولاءه وولاء الأمراء –ولاسيما كمال الدين حسين وعمر طوسون– الكامل للملك فؤاد بالقول: " إنني لا أتصور أن الملك الذي يعرف ولاءنا للعرش وولاءنا لشخصه يصدق أقل تصديق هذه الإشاعات التي قد تكون هناك مصلحة في إذاعتها من جانب أشخاص يصطادون في الماء العكر أو مداهنين يريدون أن يكون لهم وحدهم احتكار الولاء ... إن المساس بمن يشغل العرش هو

مساس للأسرة المالكة نفسها، ومساس لحقوق عائلة محمد على الكبير التي نفخر نحن بالانتماء إليها"[34].

ومضى يوسف كمال يتحدث عن وطنية الأمراء، وواجباتهم حيال قضايا وطنهم، باعتبارهم جزءًا لا يتجزأ من نسيجه، ومن ثمَّ كان لزامًا عليهم التضامن مع الشعب المصري للدفاع عن حقوق البلاد المشروعة، وإن تطلب الأمر تضحياتهم بحياتهم ليحيا ويعيش الوطن، وأكد على أن ذلك لا يتناقض مع ولائهم للعرش ومن يشغله، ونفي الانتماء أو حتى الرغبة في الانضمام إلى أي أحزاب سياسية، أو أن يكون لهم أي مسعى لتغيير النظام القائم، أو أية مطامع لتولى العرش، وفي نهاية حديثه استنكر على الحكومة إلغاء هذا الاجتماع، وذكر أنه كان سيتناول مناقشة الوثائق المتبادلة بين الحكومة المصرية والبريطانية حول الحالة السياسية القائمة حينذاك، وأكد يوسف كمال على أن الاجتماع كان سيبدأ بقسم الإخلاص للوطن والعرش، وينتهي بإظهار احترام خاص لهما، وبيَّن أن بيان الاجتماع الختامي كان سيتضمن النقاط التالية:

- تجديد عهد الإخلاص والولاء للوطن وللملك فؤاد.
- إرسال تحيتهم، وإعلان احترامهم وإعجابهم بسعد زغلول والمنفيين والمعتقلين السياسيين وسائر القائمين بخدمة القضية الوطنية.
- التأكيد على ما تكنُّه قلوبهم نحو النزلاء الأجانب من الود والإكرام.
- اعتبار تصريح 28 فبراير إقرارًا باستقلال لفظي مقيد بقيود الحماية.
- التمسك بحق الشعب في وضع دستوره بواسطة ممثليه في هيئة جمعية وطنية تأسيسية، تُنتخب لهذا الغرض.
- رجاء المجتمعين ليوسف كمال باعتباره رئيس الاجتماع بإبلاغ هذه القرارات إلى الملك فؤاد[35].

إضافة إلى ما سبق، شارك الأمير يوسف كمال مجموعة من الأمراء في 23 نوفمبر1925 في توجيه عريضة إلى الملك فؤاد أثناء الأزمة الدستورية التي نشبت بين الملك والأمة، في واحدة من الانقلابات الدستورية الشهيرة التي عرفتها البلاد في عهد فؤاد، عندما تعدى الملك على الدستور وعطله وحل البرلمان، وقد طالب الأمراء الملك في هذه الرسالة بإعادة النظام النيابي إلى البلاد مرة أخرى، وكلفوا الأمير يوسف كمال بتقديمها للملك، وقد جاء فيها: "يا صاحب الجلالة، لما تراءى لنا أن الحالة السياسية قد بلغت في وطننا مبلغًا من الخطورة، وإنه يجب الاهتمام بها بصفة خاصة، جئنا نلتمس من جلالتكم إعادة النظام النيابي إلى البلاد طبقًا لنص الدستور ".وقد وقَّع على هذه الرسالة أربعة عشر أميرًا ونبيلاً، كان من بينهم الأمير يوسف كمال، ليعلن هؤلاء الأمراء انحيازهم إلى الشعب، وإلى جانب الديمقراطية واحترام الدستور والحياة النيابية[36].

التقى الأمير يوسف كمال الملك فؤاد، وقَّدم إليه العريضة، فلم يقرأها، بل وضعها على المائدة، وطلب منه أن يذكر مضمونها، وعندما سمع فحواها، خاطبه قائلاً: " وما شأن الأمراء في هذا الموضوع، حتى إنهم يغارون على العرش ويخشون أن يمسه شر؟ قل للأمراء أن يحطوا في بطنهم بطيخة صيفي، ولا يقلقوا على العرش"، وطالبه بنقل ذلك للأمراء، وذكر أنه ما دامت القوات البريطانية موجودة في مصر فلا خوف على أحد[37].

وتوالت الأحداث، ففي 25 نوفمبر أرسل المندوب السامي البريطاني جورج لويد George Lloyd برقية لحكومته يعلن فشل حكومة الملك، واشتداد المعارضة وخوفه من حدوث ثورة بالبلاد، وبعد يومين خرجت المظاهرات المنددة بالملك وحكومته، ودوت الهتافات "يحيا الدستور، يحيا سعد، تسقط الوزارة الخائنة"، وقد اعتبر سعد زغلول ما حدث ردًّا على جواب الملك للأمير يوسف كمال[38].

وفي السياق ذاته، عارض يوسف كمال إقالة الملك لوزارة مصطفى النحاس الأولى، وتكليف محمد محمود برئاسة الحكومة الجديدة عام 1928[39]، ورأى الأمير أنه يجب على الأمراء أن يقولوا كلمتهم في الموقف السياسي بواسطة منشور يذيعونه على الأمة، فانزعج لويد لذلك، وأوفد إليه من رجاه بالعدول عن هذه الفكرة[40].

وفضلاً عن هذا، فقد انضم يوسف كمال إلى الحركة الشعبية– التي قادها حزب الوفد– للاحتجاج على إلغاء حكومة إسماعيل صدقي[41] دستور 1923 في 22 أكتوبر عام 1930، وإصدار دستور جديد للبلاد عرف بدستور 1930، فقد كان الأمير من المطالبين برفض هذا الدستور، والتمسك بدستور 1923، وطالب بضرورة إعادة الحياة النيابية إلى مسارها الصحيح، وهذا الأمر أثار غضب الملك منه ومن بعض الأمراء والنبلاء، فقرر وضع اسم كل أمير ونبيل وقَّع على هذه القرارات في القائمة السوداء، وأمر بألا يدعى أيًا منهم إلى مآدبة الملكية، ولا يحظى بمقابلته، ولا يحضر تشريفات ملكية[42].

وعقب ذلك شن يوسف كمال هجومًا حادًّا على إسماعيل صدقي وحكومته في مجالسه الخاصة والعامة، كما اعتذر عن حضور جلسة افتتاح برلمان حكومة صدقي عام 1931، تضامنًا مع الشعب لما شاب انتخاباته من تزييف وعمليات قمع وإرهاب ومصادمات دموية، أسفرت عن سقوط ضحايا[43]، دفعت هذه التصرفات وغيرها إسماعيل صدقي لتقديم شكوى للملك فؤاد، فما كان من الأخير إلا أن أرسل كبير أمنائه سعيد ذو الفقار إلى يوسف كمال برسالة يقول فيها " إن مولانا يقول لك إنه ما دمت أنت أحد أفراد الأسرة المالكة فليس من حقك أن تهاجم حكومة اختارها ملك البلاد"، وعقب سماع يوسف كمال للرسالة، رد قائلاً: "أرجو أن تبلغ جلالة الملك أنني سأرد على رسالته!" [44].

وكان ما حدث، فقد أعلن الأمير يوسف كمال تنازله عن لقب الإمارة في أبريل 1932، في حادثة تاريخية هي الأولى من نوعها في تاريخ الأسرة العلوية[45]، إذ

استدعى موظفيه وطلب إليهم أن يغيروا اليافطة النحاسية المكتوبة على دائرته، وأن يكتبوا عليها "الدائرة اليوسفية" بدلاً من دائرة الأمير يوسف كمال، وأمر بأن تعدم جميع الخطابات والظروف المكتوب عليها الأمير يوسف كمال، وأن تطبع خطابات جديدة مكتوب عليها يوسف كمال فقط، وأوفد محاميه موريس أرقش إلى محكمة مصر الابتدائية يطلب تغيير اسمه من حضرة صاحب السمو الأمير يوسف كمال إلى يوسف كمال أفندي [46].

وعلى الرغم من أن هذا التنازل قد أحدث دويًا كبيرًا في مختلف الأوساط الرسمية والشعبية، وتناقلته الصحف في مقالاتها الافتتاحية، فإنه لم يبرز أيًا منها الأسباب التي أدت إليه، ولكن من المؤكد أن العلاقة السيئة التي سادت بين الملك فؤاد ويوسف كمال حينذاك هي من دفعت الأمير دفعًا لاتخاذ مثل هذا الإجراء، وهذا ما أكَّد عليه يوسف كمال أثناء لقاء له مع الكاتب الصحفي مصطفى أمين، عندما سأله الأخير عن سبب نزوله عن لقبه، فذكر: "إن الأسباب تتلخص في كلمة واحدة هي أنني مفلوق! مفلوق من اللقب وتكاليفه! يكفي أن تعلم أن عدم اتفاق أحد الأمراء مع وزارة كافٍ لأن يكسب عداوة الوزارة وعداوة الملك، ثم فقدان لقبه كما حدث لعباس حليم، ولم تجد شفاعة الشافعين .. فأنا تنازلت عن اللقب لألعن أبو الوزارة وألعن أبو الملك كما أشاء!" [47].

وعلى الرغم من ذلك، فإنه من المؤكد أن يوسف كمال قد تراجع عن تنازله عن اللقب، إذ أظهرت الوثائق الرسمية في الفترات اللاحقة اسمه مقرونًا بلقب الأمير في كثير من المناسبات الرسمية وغير الرسمية[48].

واستكمالاً لدوره الوطني، فقد أعلن عن تأييده لانتفاضة 1935، التي تفجرت في القاهرة ، ثم تجاوبت معها كافة أقاليم القطر المصري، والتي كان من أهم نتائجها إعادة العمل بدستور 1923، وإسناد الوزارة إلى النحاس، وإقالة وزارة محمد توفيق

نسيم، وبسببها كذلك – مع المستجدات العالمية– دخلت بريطانيا ومصر في مفاوضات انتهت إلى توقيع معاهدة 1936[49].

وهكذا، تجلي دور الأمير يوسف كمال في ساحات العمل الوطني، فقد حرص على الرغم من كونه أحد أمراء الأسرة المالكة على الانحياز إلى جانب الشعب، فأعلن تضامنه التام مع مطالبه، واختلف سياسيًا مع الملك فؤاد وإدارته لكثير من الأمور، وهو ما أثار الأخير غضب وسخطه، وقد كانت هناك عوامل أخرى أدت إلى حنق الأمير يوسف كمال على الملك، وخلفت مزيد من التوتر في العلاقة معه، جاء في مقدمتها التنافس حول وراثة العرش خلفًا للسلطان حسين كامل، زد على ذلك علاقة فؤاد السيئة ببعض أمراء الأسرة المالكة، والذين كان لهم من المكانة لدى الأمير يوسف كمال، ونذكر على وجه الخصوص الأمير أحمد سيف الدين وقضيته الشهيرة، وكذلك مع النبيل عباس حليم الذي جرده فؤاد من لقبه لمعارضته إياه.

وعلى النقيض مما سبق، ارتبط الأمير يوسف كمال بعلاقة ودية مع الملك فاروق الذي خلف أباه، وقد تجلت مظاهر ذلك في العديد من المشاهد، كان من أبرزها حضور يوسف كمال حفل زفافه على الملكة فريدة في 20 يناير 1938، وتصويره الحفل بكاميرته الخاصة، وكذلك الزيارات المتبادلة بين الطرفين، وحضورهما الاحتفالات الرسمية وغيرها معًا[50]، ولم تبدِ لنا الكتابات أي مواقف سياسية للأمير خلال العهد الملكي الأخير.

ومع قيام ثورة 23 يوليو 1952، كان يوسف كمال في إحدى رحلاته للخارج، وفي طريق عودته للقاهرة علم باندلاعها، فعاد بيخته، واتجه للنمسا، إذ كان يتواجد بها أحد خدمه المقربين، وهو نمساوي الجنسية، وكان الأمير قد أعفاه من خدمته ليقضي بقية حياته مع عائلته، وأعطاه مكافأة قدرها 20.000 جنيه، فأقام لديه الأمير، وقضى معه بقية حياته، وقد أكرمه هذا الرجل، وكانت قصة وفاء، وعرض الفنان محمد عبدالوهاب في مذكراته مشهدًا للأمير بقوله: " والبرنس يوسف كمال بالذات

نصحوه إنه يهرب فلوسه لبره، ولكنه رفض، وقال الفلوس دي جايه من مصر وحاتستنى في مصر"[51]، وعلى الرغم من أن الباحث لم يتمكن من التأكد من صدق هذه الرواية من عدمه، فإن محمد عبدالوهاب كان المطرب المفضل للأمير يوسف كمال، وكثيرًا ما كان يلتقى به عقب الثورة خلال رحلاته الصيفية[52]. إلا إنه من الراجح أن الأمير كان يحتفظ بجزء كبير من ثروته المالية ببنوك أوربا، وربما يكون قد امتلك أيضًا بيتًا بالنمسا، ولا سيما وأنها كانت وجهته دائمًا كلما رحل إلى أوربا.

أما عن موقفه من الثورة، فقد أشارت صحيفة الأهرام لمراسل لها أنه التقى بالأمير يوسف كمال في 3 ديسمبر1952 - وكان لايزال بمصر -على ظهر باخرة كان مسافرًا على متنها من الإسكندرية إلى لبنان، وقد جرى بينهما حديث، ذكر فيه يوسف كمال:" أنه معجب كل الإعجاب بما أقدم عليه رجال العهد الحاضر من إصلاحات طيبة"، وختم حديثه بالثناء على الجهود التي بذلها اللواء محمد نجيب لتوحيد صفوف السودانيين، بهدف تدعيم الصلات والوحدة بين مصر والسودان[53]. وفي هذا أكثر من دلالة، لعل أهمها: أنه يؤيد ما قام به الضباط الأحرار، زد على ذلك إدراكه لقيمة السودان بالنسبة لمصر، ومكانتها في نفسه، إذ احتلت جانبًا كبيرًا من رحلاته إلى الخارج.

وعلى أية حال، طُبقت قوانين الثورة على الأمير يوسف كمال، فانتزعت أراضيه الزراعية، طبقًا لقانون الإصلاح الزراعي، والتي تجاوزت 18.000 فدان، ووزعت على الفلاحين المعدمين[54]، فضلاً عن مصادرة بقية ممتلكاته من قصور ومبانٍ وأموال؛ وفقًا لقرار مجلس قيادة الثورة الصادر في 8 نوفمبر 1953 بمصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد علي[55].

كان هذا هو المشهد الأخير لعلاقة الأمير يوسف كمال بمصر، وحوادثها السياسية، إذ توارت أخباره، واختفى عن الساحة، حتى قضى نحبه، ونقل جثمانه للقاهرة ليوارى مثواه الأخير. وهكذا انقضى جانب مهم من حياته، برز فيه دوره في

ساحة العمل الوطني، وتضامنه التام مع مطالب المصريين في نيل الحرية والاستقلال.

المبحث الثالث: الجانب الاقتصادي

يُعد الأمير يوسف كمال أحد أثرياء أمراء الأسرة العلوية، نظرًا لما امتكله من أراضٍ زراعية وعقارات ومنشآت، فقد احتل المرتبة الثالثة في قائمة أغنياء مصر لعام 1921 خلفًا للأميرين عمر طوسون وأحمد سيف الدين[56]، إذ بلغت إيرادته المالية السنوية عام 1937 مائة ألف جنيه، وارتفعت عام 1948 فبلغت 340 ألف جنيه[57].

ولم يتقاض الأمير يوسف كمال أية مخصصات مالية(مرتب) أخرى باعتباره أحد الأمراء الأسرة العلوية، وذلك على النقيض من غيره من الأمراء الذين كانوا لا يقلون عنه في المكانة الاقتصادية، ويتقاضون رواتب، ومثالاً على ذلك الأمير عمر طوسون[58]. ولعل ذلك يرجع إلى تعففه أو إلى علاقته غير الحميدة برأس الأسرة.

أولاً: مخصصات الأمير يوسف كمال:

- **الأراضي الزراعية**

امتلك الأمير يوسف كمال ما يزيد عن 18.000 فدان، ورث معظمها عن أبيه الأمير أحمد كمال، ووالدته نازپرور، وكان توزيعها على النحو التالي[59]:

المديرية	المركز	مجموع الأطيان المكلفة على عهدته		
		س	ق	ف
قنا	نجع حمادى	4	17	12.362
	أبوطشت	16	20	2.935

	دشنا	20	13	473
	الأقصر	13	23	2.047
المنيا	سمالوط	..	18	127
القليوبية	نوى	8	16	125
	المطرية	..	..	4
الغربية	المحلة الكبرى	8	22	74
الإجمالي		**21**	**11**	**18.152**

ويتبين من الجدول تركزها في مديرية قنا، ولاسيما في نجع حمادي وأبوطشت، ويوضح الرسم التالي نسب توزيع أراضيه الزراعية في المديريات الأربع.

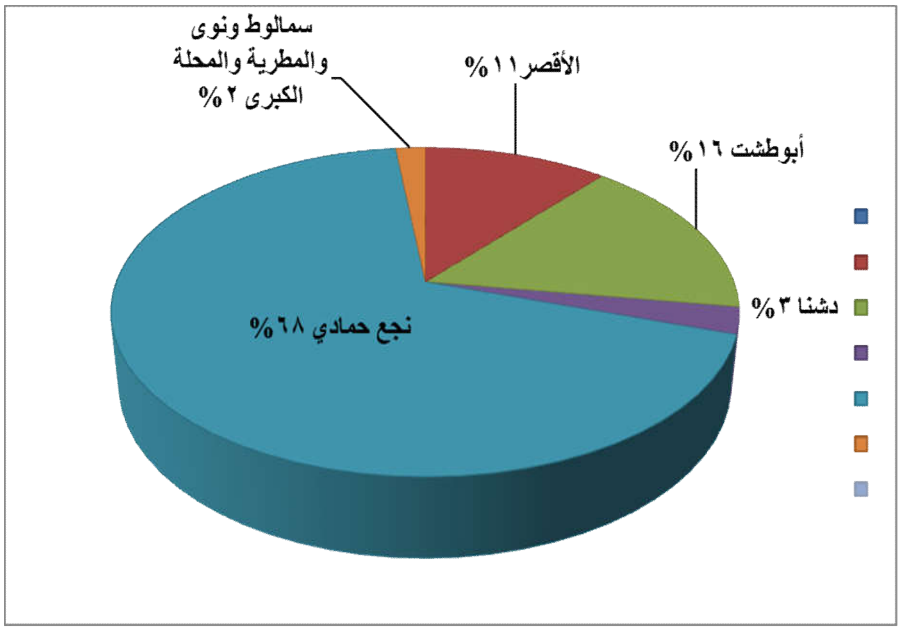

ويتضح أن أراضي الأمير وصلت نسبتها في نجع حمادي إلى 68%، وهو أمر طبيعي نظرًا لوجود قصره ومقر دائرته بها، إضافة إلى أنها تحتوي على أكبر مساحة خصبة من الأراضي الزراعية، وبها مصنع السكر، ذو الأهمية الكبيرة لمزارع يوسف كمال، لما تنتجه من القصب.

وهنا يطرح التساؤل نفسه إلى مدى استفاد مركز نجع حمادي من وجود هذه الإقطاعيات الكبيرة؟ والإجابة تتلخص في أن الأمر كان له وجه إيجابي وآخر سلبي، الوجه الأول تجلى في مساعي الأمير إلى النهوض بهذه المنطقة من خلال تنفيذ عدد من المشروعات التنموية، كان من بينها تبنيه لفكرة تكوين جمعية أهلية لتحسين المواشي والدواجن، لإنماء ثروة هذه البلاد الحيوانية عام 1935، حيث دعا عدد من كبار ملاك الأراضي الزراعية وعُمد القرى، وعقد اجتماعًا، واقترح عليهم تكوين الجمعية، فنال الأمر استحسانهم، وتبارى الحاضرون بالتبرع النقدي لتكوين رأس مالها، بعد أن افتتحه الأمير بمبلغ 250 جنيهًا، وقد بلغ مجموع التبرعات 540 جنيهًا، كما خصص يوسف كمال خمسة أفدنة لزراعتها برسيمًا لغذاء الحيوانات المزمع شراؤها، وقد تحددت مهامها في شراء فصائل من الأبقار والجاموس والحمير من الأسواق المصرية لتحسين نتاج هذه السلالات، وإرشاد صغار المزارعين إلى كيفية إيوائها وطرق تربيتها الصحيحة بمقتضى برنامج مخصص لذلك، كما تقوم الجمعية بعد توافر عدد كاف من هذه السلالات الثلاث بتوزيعها على من يستطيع تربيتها(60). زد على ذلك جهوده في الارتقاء بالجانب التعليمي والصحي، وهو ما سنستعرضه في ثنايا المبحث الأخير من الدراسة.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت هناك صورة أخرى سلبية، إذ أشير أن مركز نجع حمادي قد عان كثيرًا في ظل وجود إقطاعيات الأمير، إذ نشرت الأهرام مقالاً عقب ثورة يوليو، حمل عنوان " الأمير يضرب نطاقًا حول نجع حمادي بأملاكه، فيحول دون رقيها واتساعها"، أشارت فيه إلى أن يوسف كمال قد أحال بين أهالي هذه المركز

وبين طريق الإصلاح والتقدم، وأنه لا يوجد به تيار كهربائي، ومياه نقيه للشرب، وشوارعه غير مرصوفة[61]. وطبيعي أن يذكر ذلك عن الأمير، فهذا يتماشى مع توجهات تلك الفترة، بشأن ما يتصل بـ "العهد البائد"، وعلى الرغم من ذلك علينا أن نؤكد على مساوئ ومضار النظام الإقطاعي بكافة صوره، وأن ما يقوم به من أعمال نهضوية، إنما هي لتحقيق مصالحه وأهدافه الخاصة.

- **القصور والمنشآت المعمارية**
  - **قصر المطرية**

أقام الأمير يوسف كمال قصرًا بالمطرية (شرق محطة مترو الأنفاق حاليًا) بالقرب من ميدان النعام، ويرجع اختياره لذلك الموقع هو امتلاكه العديد من الأراضي به ووقوع منازل لوالده ووالدته بشارع الأمير كمال إلى الغرب من محطة المطرية، وقد اختار لبنائه أشهر المعماريين الإيطاليين في ذلك الوقت، وهو المعماري أنتونيو لاشياك Antonio Lasciac[62]، والذي كان يقيم بمصر حينذاك، وقام بأعمال الزخرفة المهندس الإيطالي نيانكي Nianki، ويعود تاريخ بنائه إلى عام 1908، أما عن الوصف المعماري فالقصر يتوسط حديقة مساحتها 14 فدانًا، يحيط به سور من الجهات الأربع، فُتح به ثلاثة مداخل بكل من السور الشمالي والغربي والشرقي، وللقصر أربعة عشر ملحقًا بنائيًا، وهي عبارة عن أربعة أسطبلات للخيل يعلو كلاً منهم وحدات سكنية وجراجين وأربع وحدات سكنية وصوبة نباتية وملحقين خدميين إلى جانب ما تحتويه الحديقة من نافورات ومقاعد وأكشاك للطيور والحيوانات[63]. والقصر أصبح الآن المقر الرئيس لمركز بحوث الصحراء التابع لوزارة الزراعة.

إضافة إلى ذلك امتلك يوسف كمال سرايتين إلى الغرب من سكة حديد المطرية، ميراث عن والده الأمير أحمد كمال، وهما "السراي الشمالي"، التي قام ببيعها عام

1948 إلى الأميرة شويكار ابنة الأمير إبراهيم أحمد بن الأمير أحمد رفعت، و " السراي الجنوبي"، والأولى حل محلها عدد من منازل الأهالي، بينما أصبحت الثانية مبنى تابعًا للمخابرات العامة(64).

- **قصر نجع حمادي**

تقع هذه المجموعة المعمارية على الجانب الغربي من نهر النيل بمدينة نجع حمادي، ويحيط بها سور من ثلاث جهات، بينما الجهة الرابعة ضفة النيل، وتضم هذه المجموعة قصرًا للأمير يوسف كمال، إلى جانب عدة وحدات معمارية منفصلة منها سراي الوالدة، ومبنى السلاملك، ومبنى الحرملك، والدفترخانة، والمطبخ، وقاعة الطعام، واستراحة، وإسطبل، ومقر لدائرة الأمير، ونافورة، وسبيل، وضريح، ويتخلل تلك الوحدات المعمارية مجموعة من أشجار الزينة والزهور النادرة، التى قلما وجدت بمكان آخر(65)، وكان هذا القصر بمثابة مشتى للأمير، يقضي به أربعين يومًا من كل عام في فصل الشتاء(66).

- **استراحة المريس**

أقام الأمير يوسف كمال استراحة له على الشاطئ الغربي للنيل بقرية المريس التابعة لمركز الأقصر آنذاك (أرمنت حاليًا)، ويمكن تقسيم منشآت هذه إلى ثلاثة أقسام ممتدة على كورنيش النيل، وهي القسم الشمالي الشرقي وهو عبارة عن منشآت خاصة بتفتيش الأمير والمخازن التابعة له، وسكن للعاملين يتكون من ست وحدات، والقسم الأوسط به مولد كهرباء، أما القسم الأخير الجنوبي الغربي فهو الأكبر مساحة وهو الخاص باستراحة الأمير(67).

- **منشآت القاهرة**

كان للأمير يوسف كمال عمارة بشارع قنطرة الدكة (نجيب الريحاني حاليًا) بوسط البلد، ولكنها تهدمت حاليًا، وأقيمت عليها عمارة حديثة؛ فضلاً عن مقر دائرته بشارع بورسعيد حاليًا بالدرب الأحمر، وهو عبارة عن مبنيين، المبنى الشمالي مقر الدائرة بطابقين، وقد استغل كمقر للحزب الوطني عن دائرة الدرب، أما الجزء الجنوبي فقد استغل كمقر لشركة للنقل البري. ومن منشآت الأمير يوسف كمال أيضًا سراي كان يمتلكها بدرب الجماميز، والتي أقام بها مدرسة الفنون الجميلة، ولكنها تهدمت[68].

- **منشآت الأسكندرية**

امتلك الأمير يوسف كمال فيلا، بشارع محطة شوتس بالرمل، وهي حاليًا ملكية فردية، وأخرى بمنطقة ستانلي على شاطئ البحر إلى الجنوب من حمامات شاطئ ستانلي، وتم مصادرتها عقب ثورة يوليو، وأصبحت من الاستراحات التابعة لرئاسة الجمهورية، حتى صدر قرار جمهوري عام 1986 بتحويلها إلى متحف بحري قومي، وحتى الآن لم يتم افتتاحه والانتهاء منه[69]. هذا إلى جانب عمارة سكنية بشارع توفيق بمنطقة المنشية[70].

ثانيًا: العمل العام

كان للأمير يوسف كمال جهوده للنهوض بالاقتصاد المصري، وقد تجلى ذلك عندما تولى رئاسة النقابة الزراعية المصرية العامة، لمدة ثلاث سنوات (1921-1924)، وخلال فترة رئاسته حاولت النقابة التصدي لمشكلة أزمة القطن التي شهدتها

البلاد آنذاك – وكان لها انعكاساتها السلبية على الحالة العامة للاقتصاد المصري، ومصالح الفلاحين، نظرًا لأهمية القطن كسلعة نقدية، فهو المحصول الرئيس الذي كانت تعتمد عليه مصر في تجارتها آنذاك–، وذلك من خلال عدد من الإجراءات منها:

- تأسيس شركة باسم " نقابة الدفاع عن مصالح المزارعين" يكون رأس مالها مستقلاً عن أموال أعضائها، ومكونًا من الاكتتاب والتبرعات، بغرض مساعدة المزارعين المصريين والدفاع عن مصالحهم، وكذلك تقرير مقدار المساحة التي يحسن زرعها من كل صنف من الأصناف سنويًا كالقطن والغلال وغير ذلك، وتكون مسئولة عن تحسين محصول القطن وباقي المزروعات بانتقاء أجود التقاوى والبذور، والارتقاء بأساليب الزراعة، والنهوض بالثروة الحيوانية، والسعي إلى عقد اتفاقات مباشرة مع الغزّالين، للقضاء على الوسطاء الذين يحولون بينهم وبين المزارعين، ويأخذون جزءاً كبيرًا من الفائدة؛ فضلاً عن ذلك تتولى الشركة أيضًا تسهيل مهمة تصريف الحاصلات الزراعية، والتسليف عليها، والدفاع عن أسواقها في أوقات الأزمة، كذلك العمل على إنشاء نقابات فرعية في الأقاليم لتكون عونًا لها.
- لأجل معالجة الأزمة القطنية، وتقليل ضغط المعروض على السوق إزاء قلة الطلب إلى أن تستعيد صناعة الغزل نشاطها، يتعهد كل عضو من الأعضاء المنضمين إلى النقابة بأن يحتفظ بقطنه ولا يبيعه إلا بتصريح كتابي من مجلس إدارة النقابة بحيث لا يقل القطن المحتفظ به عن مليوني قنطار.
- تأخذ النقابة على عهدتها أن تسهل لكل عضو يريد الاقتراض على قطنه الحصول على سلفة لا تقل عن خمسين في المائة مما يساويه قطنه يوم طلب السلفة، وأن لا يجبره البنك على البيع أو التغطية في حالة نزول الأسعار، وإن لم توفق النقابة في ذلك، يصبح العضو في حل من تعهده للنقابة، ويكون له الحرية المطلقة في التصرف في قطنه بدون تصريح[71].

ولقد توالت اجتماعات النقابة برئاسة يوسف كمال، وتواصلت جهودها للتصدي للأزمة، فتقدم الأمير بطلب من خلال النقابة في 24 فبراير 1921 إلى الحكومة المصرية لتشتري مليون قنطار، وتقوم بتخزينه حتى تستقر أسعاره، كما طالب بضرورة تخفيض ضريبة القطن، وفي مارس من العام نفسه أيد قرار الحكومة الذي تضمن التسليف على القطن بواسطة البنك. كما أعرب فيها عن ترحيبه لإجماع الرأى العام على ضرورة تدخل الحكومة في السوق القطنية، بشراء القطن من الفلاحين[72].

فضلاً عن ذلك اتخذ مجلس الإدارة قرارًا في 20 أبريل 1921 بالسعي لمد مفعول المرسوم السلطاني القاضي بقصر زراعة القطن على ثلث الزمام لمدة ثلاث سنوات على الأقل بدلاً من تجديده كل عام[73].

وقد استجابت الحكومة لعدد من تلك المطالب، فقرر مجلس الوزراء حصر زراعة القطن في السنتين الزراعيتين القادمتين في ثلث الزمام، وشراء القطن من صغار المزارعين، وأبرمت اتفاقًا مع أربعة من البيوت التي تشتغل بالقطن، وهي محال كارفر وبيل وبلانطا وخوزيمي، لكي تتولى شراء القطن، وفتحت باب التسليف من خلال البنك الأهلى بفائدة 7% سنويًا، وعمولة 1.5% عن القنطار عند البيع، وأن يتم تسديد هذه السلفيات حسبما تسمح الحالة المادية، وعلى أقساط سنوية، كما سهلت منح سلفيات من البنك الزراعي لصغار الفلاحين[74].

لم تتوقف جهود يوسف كمال عند هذا الحد، فطلب من أعضاء النقابة مساعدة الحكومة في حل الأزمة من خلال تكوين جمعية تابعة للنقابة تتولى شراء خمسمائة ألف قنطار من المزارعين[75]. كما طالب الحكومة بإلغاء ضريبة 35 قرشًا التي كانت تفرضها على قنطار القطن المبيع، وقد وافق مجلس الوزراء على تخفيضها تمهيدًا لرفعها نهائيًا فيما بعد، بحيث لا تتأثر ميزانية الدخل العامة للدولة برفعها دفعة واحدة[76].

ودعا يوسف كمال إلى تأسيس بنك زراعي، يقوم بمساعدة صغار الفلاحين من خلال الاقتراض منه[77]، وفي عام 1923 حدد الأمير مطالب النقابة لاحتواء الأزمة وتداعياتها في ضرورة تدخل الحكومة في السوق القطنية عن طريق وقف التلاعب في البورصة، والعمل بكافة السبل على الحفاظ على وضع القطن المصري في الأسواق الأوربية، وقد تم الاستجابة لهذه المطالب في أوائل أغسطس من العام نفسه، وقد كان ذلك أخر جهود الأمير من خلال رئاسته للنقابة لحل أزمة القطن، حيث قدم استقالته في 22 أبريل 1924[78]. ويحتمل أن يكون قراره هذا جاء نتيجة لخلافته السياسية مع الملك فؤاد آنذاك.

وهكذا حاول يوسف كمال جاهدًا أثناء رئاسة للنقابة الزراعية المصرية العامة التصدي لواحدة من أخطر الأزمات الاقتصادية التي عاشتها مصر بسبب الانخفاض الكبير في أسعار القطن، وندرة الطلب الخارجي عليه، وقد دفعه لذلك أمران، أولهما: دوافعه الوطنية، وحرصه على تحقيق مصالح الفلاحين، وثانيهما: تحقيق المصلحة الشخصية فهو أحد كبار ملاك الأراضي الزراعية في مصر، وتحقيق أي خطوات إيجابية في طريق حل هذه الأزمة سيصب بالطبع في صالحه باعتباره أحد المستفدين.

المبحث الرابع: الدور الاجتماعي

كان للأمير يوسف كمال إسهاماته المتعددة في الحياة العلمية والثقافية والفنية، وكذلك في مجال العمل الخيري في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الجانب العلمي والثقافي

شغل الجانب العلمي والثقافي حيزًا كبيرًا من حياة الأمير يوسف كمال وأعماله، من خلال تقديم كافة سبل الدعم المادية والأدبية للارتقاء به، ومازالت آثار أعماله ونشاطاته في هذا المجال حتى وقتنا الحاضرة شاهدة على ذلك.

- **اهتمامه بالفنون الجميلة**

أَوْلى يوسف كمال عناية خاصة بالفنون الجميلة، فالأمير هو مؤسس أول مدرسة للفنون الجميلة بمصر في 12 مايو 1908، وجعل مقرها بقصره الكائن بحي درب الجماميز بالقاهرة، وكانت هذه الخطوة استجابة منه لدعوة صديقه الفرنسي المثال والنحات "جيوم لا پلان Guillaume La Plane"، الذي استطاع إقناعه برعاية الفنون التشكيلية وإنشاء أكاديمية للفنون على غرار ما هو موجود بفرنسا، بعد أخذ يعدد له المزايا والفائدة التي ستعود على المجتمع المصري(79).

وعلينا أن نشير هنا إلى أن فكرة إنشاء مدرسة للفنون الجميلة قد لقيت معارضة وعدم اكتراث من المسئولين المصريين، بل ومقاومة من المستعمر البريطاني، وحاولا الطرفان وضع العراقيل في طريق تحقيقها، كما استخف الناس بفكرة المدرسة، إذ اعتبرها البعض محاولة فاشلة، وآخرون رأوا فيها نوعًا من الترف" الكماليات" لم تتهيأ له البيئة المصرية بعد (80). وعلى الرغم من ذلك كان رد فعل الأمير استجابة تامة واهتمامًا كبيرًا، ووعد بتحقيق المشروع مهما تكلف من جهد ومال، وانطلق بحماس وجهد دءوب للترويج للفكرة، وحشد المساهمات المعنوية والمادية لتنفيذها، حتى قام بإنجازه(81). وهكذا تلاقى المشروع مع ميول وهوايات الأمير يوسف كمال العاشق للفنون بكافة أنواعها.

ولقد نصت لائحة المدرسة – والتي أصدرها يوسف كمال– على أن الغرض منها هو تخريج فنيين بارعين في التصوير والنحت وهندسة البناء والتزيين والزخرافة، وإتقان الخطوط العربية، وأن يكون التعليم بها بالمجان، وفتح بابها أمام الجميع دون تمييز بين الجنسيات والأديان، وحددت شروط الالتحاق بها في ألا يقل عمر التلميذ عن 15 عامًا وألا يزيد عن 21 عامًا على الأكثر، واجتياز التلميذ للكشف الطبي، واختبار القدرات، ونصت على أن مدة الدراسة بها ثلاث سنوات، وأن يرسل أوائل خريجي أقسام التصوير والنحت وهندسة البناء عقب انتهاء دراستهم إلى مدرسة الفنون الجميلة بباريس لمدة عامين، على نفقة الأمير، وذلك لاستكمال دروسهم، وكذلك الأول بين أقرانه في قسم الزخرفة والتزيين إلى مدرسة فنون الزخرفة والتزيين بالمدينة نفسها[82].

ولقد أسند يوسف كمال مهمة إدارتها والإشراف عليها إلى "لا پلان"، واستقدم لها أساتذة من أوربا على نفقته للتدريس لطلابها، وكان من هؤلاء الأساتذة الفنانين، الإيطالي " پاولو فورتشيلا Paolo Forcelia"، الذي أشرف على قسم التصوير بمشاركة الفرنسي "فردريك بونو "Frederic Bonot"، والإسباني "خوان سانتس Juan Sintes"، وقام الفرنسي "كولون Colonne" بتدريس الزخرفة، واشترك الفرنسي هنري پيرون Henri Pieron"، والأرميني "ناڤيليان Naviglian" في تدريس العمارة، وانفرد "لا پلان" بالإشراف على قسم النحت إلى جانب مهمة الإدارة[83].

ويستمر عطاء الأمير، وتساق الأمثلة الدالة على تشجيعه لطلاب المدرسة، واعتزازه بمصريته، فيروي الفنان يوسف كامل – أحد الرعيل الأول للمدرسة– مشهدًا منها فيذكر: " في أحد الأيام حضر الأمير، وجلس في حجرة الناظر بعد أن خلع سترته، وطلب منا أن نرسمه، وكان بالحجرة بعض السائحين الأجانب من هواة الفنون، وعندما شاهد رسومنا قال مبتهجًا: إن المصريين أجادوا تصويري وأظهروا حقيقة ملامح وجهي بشعور مصري صميم لأني مثلهم أنتمي إلى مصر والفنانين الأجانب رسموني كأني أحد الخواجات مثلهم .. ثم التفت إلينا وسأل: كم من الوقت

استغرقتم في الرسم؟ قلنا لاندري. قال: لا .. يلزمكم أن تعرفوا الزمن من البداية إلى النهاية وأن تحسنوا تقدير الوقت فهو من عوامل النجاح الأساسية، ثم أخرج من جيب سترته ساعات، وأعطى كلاً منا ساعة هدية منه وهو يقول: لكي تعرفوا متي بدأتم العمل ومتى انتهيتم منه"[84].

إضافة إلى ما سبق، قام يوسف كمال في 5 يونيو 1909 بوقف ريع كل من عمارته الكائنة بشارع توفيق بالمنشية بالإسكندرية، وكذلك 127 فدانًا و18 قيراطًا بسالموط بمديرية المنيا على نفسه مدة حياته، ثم بعد وفاته يصبح وقفاً خيرياً يصرف من ريعه على مدرسة الفنون الجميلة (فضلاً عن مدرسته بنجع حمادي) لتعليم 150 تلميذاً[85]، دون الالتفات إلى دينهم وجنسيتهم، على أن يكون ثلثهم من الأجانب والثلثين من المصريين، ويكون تعليمهم بالمجان، وكذلك الصرف على الأدوات اللازمة للعملية التعليمية، وأجرة المدرسين، كما اشترط الأمير عدة شروط في وقفه، منها:

- عمل امتحان سنوي للتلاميذ، على أن يمنح التلميذان الأول والثاني في الفرقة العليا من كل قسم ميدالية برونزية، نقش على وجهها "إنا فتحنا لك فتحا مبيناً"، وعلى الظهر "تذكار من الأمير يوسف كمال"، وبأسفلها تاريخ افتتاح المدرسة، ثم يرسلون عقب ذلك إلى فرنسا أو إيطاليا لاستكمال دراستهم، لمدة ثلاث سنوات أو وفقًا لما يحدده ويراه ناظر المعارف العمومية في مصلحة كل تلميذ.
- عدم الاستدانة أو الاقتراض على الوقف ولا له بأي طريق كان، ولا قفل المدرسة وتحويل إيراد الوقف إلى أي وجه آخر من وجوه الخير.
- لا يجوز قفل المدرسة بحجة قلة إيراد الوقف، فلو فرض ونقص الإيراد فينقص عدد تلاميذ المدرسة بنسبة قلة الإيراد إذا كانت القلة لم تكن نتيجة سوء إدارة الوقف.

- أن تكزم النظارة للأمير مدة حياته ثم من بعده لمدير ديوان عموم الأوقاف المصرية، على أن تكون إدارة المدرسة تحت ديوان عموم المعارف المصرية[86].

وفي عام 1911 وضعت المدرسة تحت إشراف نظارة المعارف العمومية بناء على رغبة منشئها، حيث أدخلت عليها إصلاحات عديدة، ونقحت لائحتها العامة والداخلية[87].

وبعد أن أتم الرعيل الأول[88] دراسته بالمدرسة، أقامت المدرسة معرضًا لأعمالهم على نفقتها بنادي الأربعين أو نادي الأتوموبيل (السيارات) عام 1911، وحازت تماثيل محمود مختار على إعجاب الأمير يوسف كمال والرواد، وأسفر المعرض عن نجاح لم يكن متوقعًا، وكان من بين العارضين المصورون محمد حسن ويوسف كامل وراغب عياد وعلى الأهواني، ومن المثالين محمود مختار وأنطون حجار، وعقب انتهاء المعرض طلب مختار من يوسف كمال أن يتم دراسته في فرنسا، فاستجاب الأمير، وأرسل مختار إلى باريس على نفقته الخاصة عام 1912، وكان أول فنان مصري يبعث إلى الخارج ليتعرف على أمجاد السابقين في هذا المضمار في العصر الحديث[89].

ويُمضي مختار أيامه بين المدرسة ومرسمه بشارع فرانسوا جيلبير، هذا المرسم الذي لم يحصل عليه إلا بشق الأنفس ومثابرة جادة انتهت بخلاف شديد بينه وبين المشرفين على البعثة، ولم ينتصر عليهم إلا بعدما بلغ هذا الخلاف يوسف كمال فأيده في مطلبه، وعلى الرغم من ذلك خشي الأمير من أن يشغله ذلك عن دراسته، فنصحه قائلاً:" إنك مصري فيجب أن تعود إلى وطنك ... وأن تشتغل بكل إمكاناتك، لأننا جميعًا معتمدون عليك ومنتظرون نتائج سعيك وثمرة اجتهادك، حتى لا يقال إن المصري عديم الإرادة، وأنه لا يفلح في الأعمال الفنية التي هي مظهر أساسي من مظاهر الحضارة، وعنصر فعال من عناصر المدنية"[90].

ولم تقف رعاية الأمير للفنون عند هذا الحد، إذ تولى رعاية معرض الصور المصري الأول، الذي أقامته جمعية ترقية فن التصوير والحفر في مارس 1920[91]، وكان الأمير في مقدمة المكتتبين لتمثال نهضة مصر، وقد نالت تلك الجهود، بجانب رعايته للجمعية وأنشطتها تقدير الجمعية، التي بادرت بإرسال برقية ليوسف كمال جاء فيها: "جمعية فن التصوير والحفر مدينة إلى سموكم بوجودها، فأنتم أب الفن ونصيره الأول في حين لم يكن له نصير، وهي في عامها الجديد تنتهز فرصة اكتتابكم لتمثال النابهة المصري مختار لتعرب لكم عن خالص إعجابها وعظيم تقديرها لمجهودكم المتواصل للنهوض بالفنون إلى أرقى مستوى"[92].

واستكمالاً لهذا الدور، فقد تولى يوسف كمال رعاية المعرض الذي أقامته الجمعية المصرية للفنون الجميلة (15 أبريل-15 مايو 1921)، وقد بلغت عدد اللوحات والقطع المعروضة بين تصوير وحفر ورسم وأشغال زخرفة 352 قطعة، الثلثان منها من صنع الفنانين المصريين والثلث للأجانب[93].

علاوة على ما سبق، تولى الأمير رئاسة جمعية محبي الفنون الجميلة (1922-1925) والتي تأسست في 22 مايو 1923، وقد أولاها يوسف كمال رعايته[94]، وكان من ثمار مجهوداته إقامة الجمعية لمعرض في فن التصوير والحفر والزخرفة والرسم في 20 فبراير 1924[95].

وهكذا سطر يوسف كمال صفحة مضيئة في سجل أعماله ونشاطاته، ببعثه الفنون الجميلة في مصر، فلم يبخل عليها بماله وجهده ودعمه الأدبي، فقد تصدى للفكرة وأخرجها إلى عالم الوجود، وأزال الصعاب والمعوقات، فخلد اسمه كعاشق وباعث للفنون الجميلة في مصر، ومحبًا للإنسانية.

- **الأمير والجامعة الأهلية**[96]

بدأت علاقة يوسف كمال بالجامعة الأهلية عندما أوقف عليها في 23 نوفمبر 1910 مساحة قدرها 125 فدانًا و16 قيراطًا و8 أسهم[97]، وقد أجرتها الجامعة بمبلغ 400 جنيه سنويًا، ولما كانت هذه الأطيان في حاجة إلى الإصلاح، فقد تبرع الأمير في العام التالي بمبلغ ثلاثمائة جنيه إسترليني للمساعدة في النفقات اللازمة للإصلاح، مما أدى لارتفاع القيمة الإيجارية للأطيان إلى 1.230 جنيه بعد ذلك[98].

وقد أردف حجة هذه الوقفية برسالة إلى الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة (1908-1913)، أثنى فيها على جهوده التي بذلها في سبيل النهوض بالجامعة، وقد ورد بها:"... ولشدة أمتناني وسروري من رؤية الجامعة المصرية الكائنة تحت رئاستكم العليا قد وصلت بعنايتكم العظيمة وهمتكم السامية إلى منزلة ما كنت أظن في بدء نشأتها أن تكون هناك يد قادرة على أن ترفع قدرها ... أرجوكم بصفتكم رئيس هذه الجامعة التفضل بقبول ما أهديتها به بنص وشروط وقفيتي"[99].

وفي عام 1912 أضحى يوسف كمال عضوًا بمجلس إدارة الجامعة، وعقب تخلى الأمير أحمد فؤاد عن رئاستها، اجتمع أعضاء مجلس الإدارة – الذين كان من بينهم حسين رشدي وأحمد شفيق ومحمد علوي وإسماعيل صدقي– وأجمعوا على إسناد رئاسة الجامعة إلى الأمير يوسف كمال، ولكنه اعتذر، متعللاً بكثرة مشاغله، وأبدى رغبته في عضوية مجلسها فقط، ومن ثمَّ انتخب حسين رشدي رئيسًا لها (1913-1916)، واستمر يوسف كمال يشغل العضوية حتى قدم استقالته في أول ديسمبر 1915[100].

ولقد نالت جهود الأمير يوسف كمال تقدير الخديو عباس حلمي الثاني (1892-1914)، والذي أثنى عليها بالقول: " ... أعطى الجامعة المصرية ملكية مائة وخمسة وعشرين فدانًا في مديرية القليوبية الغنية، ومبلغًا هامًا لتحسين هذه الأراضي. فالمجد لذكرى عمتي الوقورة الحبيبة (الأميرة فاطمة)، وشكرًا لقريبي، الأمير يوسف كمال،

والمجد لذكرى كل أولئك الأموات منهم والأحياء، الذين شاركوا في هذا العمل الوطني"[101].

وسرعان ما انتخب يوسف كمال رئيسًا للجامعة في عام 1916، حين اضطر حسين رشدي للتخلي عنها، وقد شغل رئاستها مدة عام وبعض عام، وفي تلك الفترة أرسل بعض طلبتها إلى الخارج للدراسة على نفقته[102].

وعندما مرَّت الجامعة بضائقة مالية؛ نظرًا لقيام الحرب العالمية الأولى، بادر الأمير بالتبرع لها بمبلغ ألفي جنيه لمساعدتها في التغلب على ما تتعرض له من مصاعب، وكان لهذا الإجراء منحى طيب لدى أعضاء مجلس إدارتها، الذين بادروا بإرسال تلغراف له في 14 أكتوبر 1914، جاء فيه: " مجلس إدارة الجامعة المصرية المنعقد الآن تلقى بمزيد الامتنان نبأ تكرمكم بالهبة الكريمة للجامعة، وقرر رفع التلغراف للتعبير عن عظيم شكره لفضل سموكم، أبقاكم الله خير ناصر للعلم ومُعضدًا لمعاهده"، وقد أناب المجلس وفدًا لمقابلة الأمير وتقديم واجب الشكر[103].

ويستمر عطاء الأمير، فيتبرع للجامعة بمبلغ مائتي جنيه لتوفد اثنين من أعضائها إلى إستانبول للبحث عن الكتب العربية القيمة، والتي لا توجد منها نسخًا بالمكتبات المصرية، واختارت الجامعة لهذا الغرض كلاًّ من أحمد أمين وعبدالحميد العبادي المدرسَيْن بكلية الآداب[104]. وقد سافرا في أول يونيو 1928، وعقب رحلة شاقة من البحث والتقصي، رفعا تقريرًا ليوسف كمال احتوى على وصف دقيق لدور الكتب هناك، وما تحويه من كتب ومخطوطات، فأشار التقرير إلى وجود أكثر من سبعين مكتبة في إستانبول تحتوي على نحو سبعين ألف كتاب مخطوط، منها نحو 60% باللغة العربية، والباقي ما بين تركي وفارسي، ونوه إلى أن أشهرها هي مكتبة طوب قبو سراي وآيا صوفيا ونور عثمانية وبايزيد والفاتح والسليمانية؛ فضلاً عن ذلك قدما للأمير الاقتراحات التالية:

- السعي في وضع فهرس علمي لمكتبات إستانبول، بمساعدة الحكومة التركية، وتأليف لجنة علمية متخصصة لدراسة كافة فروع هذه الكتب، وحبذا امتداد عمل هذه اللجنة إلى دور الكتب الأخرى في بقية مدن تركيا، إضافة إلى العراق والشام وإيران واليمن.
- السعي للاستفادة من هذه الكتب عن طريق نسخها أو نقلها بالتصوير لمصر، وطالبا باستحضار أقوم الكتب العربية الموجودة في مكاتب أوربا، مما ليس له وجود في مكاتب مصر.
- العمل على نشر أفضل هذه الكتب، وحبذا لو خصص لهذا الغرض مبلغ من المال ينفق من ريعه على نشرها.

واختتما التقرير بعرض عدد من هذه المخطوطات، بينًّا فيه اسم الكتاب ووصفه، ومكان تواجده، ورقمه المسجل به[105].

إضافة إلى ما سبق، قام يوسف كمال في 15 نوفمبر 1928 بوقف مجموعة الكتب الموجودة آنذاك بمكتبته الخاصة بقصر المطرية، والتي بلغ عددها قرابة 5455 مجلدًا، وما يستجد عليها على الجامعة المصرية، وأوصى بأن تنقل بعد حياته لمكتبتها، وقد قبل مجلس إدارة الجامعة هذه الوقفية في 4 يونيو 1929[106].

- مدرسة نجع حمادي الابتدائية

أنشأ يوسف كمال مدرسة ابتدائية في مدينة نجع حمادي، على نفقته الخاصة، لتعليم البنين بالمجان، رغبة منه في نشر التعليم بين الأوساط الفقيرة[107]، وذلك عام 1911، وقد بدأت الدراسة بها في شهر سبتمبر من العام نفسه بفصل واحد للسنة الأولى، ثم نمت تدريجيًا في كل سنة فصل دراسي حتى بلغت السنة الرابعة النهائية عام 1915، وتم بناء المدرسة وسط قطعة أرض مساحتها فدانان، وقد تكوَّن المبنى

من دورين، في كل دور أربعة فصول، كما ألحق به حجرات للتربية الفنية والمكتبة والمطعم، وأقام أمام المبنى الرئيس حديقة تبلغ مساحتها نصف فدان تقريبًا، وخلف المبنى من الجهة القبلية فناء واسع، وقد تبرع الأمير بالأرض وتكاليف البناء، وقد أسند مهمة الإشراف عليها لنظارة المعارف[108]. هذا وقد أوقف عليها الأمير يوسف كمال – بالاشتراك مع مدرسة الفنون الجميلة– عمارته السكنية بالأسكندرية وكذلك 127 فدانًا و18 قيراطًا بسالموط بمديرية المنيا، وقفاً خيرياً يصرف من ريعه على المدرستين [109].

فضلاً عما سبق أولى رعايته وعنايته لمدرسة البنات بنجع حمادي، فقدم إليها كافة أنواع الدعم المادي والأدبي، حتى خرجت من حيز الفكرة إلى طور العمل، وأصبحت آهلة بالطالبات[110]. وهذا يبرز اهتمام الأمير بتعليم البنات.

- **مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية[111].**

شهد التعليم في مدارس الجمعية تدهورًا ملحوظًا إبَّان الحرب العالمية الأولى، لما خلفته هذه الحرب من تداعيات، وبخاصة على الجانب الاقتصادي الداعم الأول للنشاط التعليمي الخاص بالجمعية، ومن ثَمَّ كان على الأمير يوسف كمال الذي تقلد رئاستها في ذلك الوقت مسئوليات جسام للنهوض بالشق التعيلمي، ومن أجل ذلك قام بما امتلكه من أدوات وقنوات اتصال بعدد من الإجراءات للنهوض بها، فتواصل مع نظارة المعارف المصرية لتشكيل لجنة لدراسة أحوال تلك المدارس وتقييم وضعها لتقويم الأداء بها، ومن ناحية أخرى استغل علاقاته مع السلطان حسين كامل والأمراء وكبار المسئولين والأعيان ليقدموا دعمهم الأدبي والمادي لها، وتحقيقًا لذلك شكلت نظارة المعارف لجنة للنظر في نظام الإدارة والتعليم، أُطلقت عليها اسم "اللجنة العلمية"، وتكونت من سبعة أعضاء هم: عدلي يكن وعبدالخالق ثروت ومحمد شكري

وسعد زغلول ومحمد علوي وحسن عبدالرازق وطلعت حرب، وقد تلاقت مقترحاتهم مع رؤى الأمير، إذ اتفق الجانبان على ضرورة تحسين أحوال المدرسين والموظفين، ووضع معايير لاختيارهم، والشهادات التي يجب أن يكونوا حاصلين عليها، كما طالب يوسف كمال بتحويل بعض المدارس إلى مدارس للبنات أو مدارس صناعية أو زراعية، وقد وافق مجلس إدارة الجمعية على عدد من هذه المقترحات، فقرروا إصلاح أحوال المدرسين والموظفين والاستغناء عن المدرسين الحاصلين على الابتدائية، ووضع لائحة جديدة للموظفين، أما بالنسبة لتحويل عدد من المدارس إلى مدارس بنات أو مدارس زراعية أو صناعية، فقرر مجلس الإدارة أن يكون ذلك حسب احتياج الجهة التي بها المدرسة مراعاة للفائدة التي تعود على الأهالي[112].

وقد بدأت هذه المدارس تستعيد مكانتها رويدًا رويدًا، بفضل هذه الإجراءات؛ فضلاً عن تطوير وتحديث مناهج الدراسة بها، وكذلك بسبب التشجيع الذي كانت تحظى به على المستويين الرسمي والشعبي، كما كانت لزيارات الأمير يوسف كمال الميدانية لها – ولاسيما مدارس الإسكندرية وطنطا – مردودها الإيجابي على نظام التعليم فيها، حيث أصبحت تضارع المدارس الأميرية التابعة لنظارة المعارف، وتحسنت نتائج تلاميذها، ومكانتها، وتحمس الأهالي لإلحاق أبنائهم بها[113]. ومن ثمَّ يمكننا القول إن فترة رئاسة يوسف كمال للجمعية كانت بمثابة أعوام ازدهار ونهضة في تاريخ التعليم بمدارسها.

ثانيًا: الإنتاج العلمي

كان الأمير متعدد الاهتمامات واسع الثقافة نهمًا للمعرفة العلمية، ومن ثمَّ تعددت إسهاماته في هذا الجانب بين تأليف وإعداد وتعريب على النحو التالي:

أ- التأليف والإعداد

كان للكتابة العلمية نصيب في حياة الأمير يوسف كمال، فقد قدم إلينا عددًا من المؤلفات القيمة للمكتبتين الجغرافية والتاريخية، استقى معظم مادتها من مشاهدات حية له أثناء رحلاته للخارج في بعض بلدان قارتي أفريقيا وآسيا، وهي كالتالي:

- **المجموعة الكمالية في جغرافية مصر والقارة الأفريقية**

هي عمل علمي رصين، من حيث التفرد والأصالة، ومصدر مهم لعلم الجغرافيا والتاريخ، ومسمى المجموعة كما هو مثبت على الغلاف هو "Monumenta Cartographica Africae et Aegypti"، وترجمته هو " الموسوعة الخرائطية لأفريقيا ومصر"، أما الجهة الأخرى من الغلاف فتحمل عنوان "المجموعة الكمالية في جغرافية مصر والقارة الأفريقية لجامعها يوسف كمال"، والأمير هنا لم يدَّع أنه ألَّف، ولكنه جمع، وقد اقتضته الأمانة العلمية أن يعترف بالفضل لأهله، فهو في المجلد الأول من هذا العمل الموسوعي يتقدم بالشكر والعرفان لمديري وأمناء المكتبات والمتاحف التي جمع منها مادة هذه الموسوعة وهي المكتبة الوطنية بباريس، المتحف البريطاني بلندن، مكتبة الفاتيكان البابوية بروما، المكتبة الملكية بفلورنسا، المتحف الملكي للآثار بتورين، المكتبة الوطنية في ڤينا، المتحف الحديث ببرلين، مكتبة المدينة بليبزج، مجمع أوبرلاوتس للعلوم بجورلتز، مكتبة جامعة أمستردام، متحف الآثار ومكتبة الجامعة بليدن. وقد تمت طباعة هذه الموسوعة في ليدن بهولندا، وصدرت في أربعة أجزاء ضمت 14 مجلدًا، استغرق جمعها وطباعتها أربعة عشر عامًا، حيث صدر المجلد الأول عام 1926، أما المجلد الأخير فمؤرخ بعام 1939[114]. وقد أنفق الأمير على وضعها مايزيد على المائة ألف جنيه، ذهبت أجورًا للباحثين والطباعة[115].

واللغة الغالبة في الموسوعة هي اللغة الفرنسية، وقد وردت النصوص الجغرافية الأصلية بلغتها سواء كانت مصرية قديمة أو يونانية أو لاتنية أو عربية أو فارسية أو سريانية أو حبشية أو إنجليزية أو صينية، وكان يرد قبلها أو بعدها ترجمة للنص غالبًا أو تعليق أحيانًا، وفيما يلي البيان التفصيلي بمحتويات الموسوعة:

- الجزء الأول (مجلد واحد): يرصد عصر الفراعنة، ويبدأ بإهداء من الأمير يوسف كمال إلى محمد على باشا، وهو مكتوب بخط اليد، ونصه " إهداء هذا المؤلف لذكرى جدي الأكبر الحاج محمد علي الأول – رحمه الله– وغفر له ولوالديه"، وفي الصفحة المقابلة للإهداء صورة لمحمد علي، ويسجل النص الأول في هذا المجلد رحلات الرحالة المصري القديم "حرخوف" في السودان زمن الأسرة السادسة، والتي قام بها في فترة حكم "مرنرع" و "بيبي الثاني".
- الجزء الثاني (أربع مجلدات): ويضمن عصر البطالمة والحقبة الرومانية، وكذلك أطلس أثري وكشاف، وتتوالى النصوص التاريخية في هذه المجلدات مع الحرص على بيان مؤلف وكاتب النص وتاريخ النشر، وتاريخ التأليف إن كان مخطوطًا.
- الجزء الثالث (خمسة مجلدات): تتناول العصر العربي.
- الجزء الرابع (أربعة مجلدات): ويحتوي على الخرائط الساحلية القديمة لأفريقيا في فترة الكشوف الجغرافية[116].

وهذه الموسوعة تزخر بنصوص وكتابات لهوميروس ودانتي الليجيري وماركوبولو؛ فضلاً عن القلقشندي واليعقوبي وياقوت الحموي، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، وباعتبار أن الموسوعة أساسًا موسوعة خرائطية، فقد ضمت المجلدات الأربعة عشر كمًّا هائلاً من الخرائط فيما يخص مصر وأفريقيا منذ العصور القديمة[117].

وقد قام الأمير بطبع هذه الموسوعة طبعة محدودة (200 نسخة) قام بإهداء نسخها إلى عدد من أكبر مكتبات العالم، ولعل أهمها مكتبة الكونجرس في واشنطن، والمكتبة الوطنية في باريس، وكذلك مكتبتي المجمع والجمعية الجغرافية في باريس، ومكتبات المتحف البريطاني ومتحف العلوم والجمعية الملكية الجغرافية في لندن، ومكتبة لينجراد، وعدد من المكتبات الوطنية ومكتبات المتاحف والجمعيات الجغرافية في كل من إسبانيا وإيطاليا وبلجيكا وبولندا ورومانيا وسويسرا والمجر والنرويج وهولندا واليونان في أوربا، وكذلك في القارة الأفريقية، فقد أهدى الموسوعة إلى مكتبات متعددة في الحبشة (إثيوبيا) وتونس والجزائر وجنوب أفريقيا والسودان ونيجيريا، كما أهدى نسخًا إلى مكتبات في قارة آسيا مثل: إيران وتركيا وسوريا والهند واليابان، وفي الأمريكتين أهدى نسخًا إلى مكتبات في كندا والأرجنتين والبرازيل. أما في مصر فقد أهدى نسخًا إلى دار الكتب، ومكتبة الجامعة المصرية، ومكتبات المتاحف: المصري والقبطي والإسلامي بالقاهرة، واليوناني والروماني بالإسكندرية، ومكتبة المجمع العلمي المصري، ومكتبة الجمعية الجغرافية، ومكتبة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ومكتبة بلدية الإسكندرية؛ فضلاً عن عدد من المكتبات الخاصة، وبذلك حققت الموسوعة انتشارًا كبيرًا على المستوى المحلي والدولي[118].

- **بعض إيضاحات متفرقة حول موسوعتي الخرائطية لأفريقيا ومصر**

نظرًا للصدى والدوي الكبير الذي أحدثته الموسوعة، قام الأمير بتأليف هذا الكتاب باللغة الفرنسية، وعنوانه " Quelques éclaircissements épars sur mes Monumenta Cartographica Africae et Aegypti"" وقد بناه على محاضرة ألقاها في الجمعية الجغرافية الملكية المصرية تفسيرًا للأجزاء التي صدرت للموسوعة، وهو يقع في 219 صفحة، صدر في ليدن، عام 1935، وقد طبع طباعة متقنة للغاية على ورق جيد وصيغت عباراته بأسلوب متين يدل على تعمق معرفة يوسف كمال

بأسرار اللغة الفرنسية؛ فضلاً عن التدقيق في الموضوع الذي عالجه، وناقش في هذا العمل الموجز الملاحظات التي أثيرت حول عمله، وأوضح بعض جوانب الغموض فيه، ثم قسمه إلى أربعة أقسام، تضمن القسم الأول منها الجغرافيا والمصورات الجغرافية منذ الأقدمين، والقسم الثاني علم الجغرافية عند الغربيين في العصور الوسطى، والقسم الثالث علماء الجغرافيا الشرقيين والمصورات الجغرافية عند الشرقيين، والقسم الرابع اكتشافات البرتغاليين والمصورات الجغرافية الحديثة"[119].

- **بالسفينة نازپرور حول القارة الأفريقية**[120]

هذا الكتاب باللغة العربية، وهو نتاج للرحلة التي قام بها الأمير يوسف كمال لعدد من بلدان القارة الأفريقية خلال الفترة من 18 ديسمبر 1924 إلى 26 نوفمبر 1925، ويقع في 424 صفحة، وقد طبعه على نفقته الخاصة عام 1928، ويعد أحد أهم مصادرنا الجغرافية والتاريخية والاجتماعية حول القارة الأفريقية، لأن الكاتب استقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والرصد المباشر، وقد استهله بإهداء لذكرى والداته، جاء فيه: "أمّاه ! ما أسميتُ سفينتي باسمك مؤمّلاً بها ما لقيته منك من العطف والحنان، بل لتذكرني حين تتلاطم بها الأمواج، وتُحدِق بها الأخطار بحنان قلبك علىّ يوم كان المهد سفينتي وربَّانها يدك. وليس في وسعي اليوم إلا طلب الرحمة لك من ربك"، وقد تم تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء في مجلد واحد على النحو التالي:

الجزء الأول بعنوان " الرحلة إلى إفريقية الشرقية"، تناول فيه رحلته للصومال وإريتريا، فيذكر أن بلاد الصومال اقتسمتها دول أوربا (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) والحبشة فيما بينها، ويحدها من الشمال مستعمرة إريتريا الإيطالية وخليج عدن، وشرقًا المحيط الهندي وغربًا بلاد الحبشة ومستعمرة كينيا البريطانية وجنوبًا المحيط الهندي، ثم تعرض لأرضها وجبالها وأنهارها وطقسها، وكذلك النبات والحيوانات، فذكر أن بها

أنواعًا كثيرة من الحيوانات ومنها الأسود والفيلة والكركدن "الخرتيت" الأسود ذو القرنين والفهود والضباع والثعالب، وبيَّن أن مساحتها 356 ميلاً مربعًا تقريبًا، وعدد سكانها نحو مليون ومائة ألف نسمة.

وعند حديثه عن مستعمرة إريتريا الإيطالية، ذكر أنها تبدأ من بعد مائة وعشرة أميال تقريبًا جنوب سواكن، ويحدها من جهة الشمال السودان، وكذلك من الغرب بالاشتراك مع الحبشة، التي تحدها هي الأخرى كذلك من ناحية الجنوب هي وجيبوتي، وشرقًا البحر الأحمر، وأن عدد سكانها 350.000 نسمة منهم 115.000 من الأحباش. أما الأوربيون فعددهم من 4.000 إلى 5000 آلاف، ثم انتقل إلى وصف جغرافيتها، فذكر دوائر العرض وخطوط الطول، وجبالها وسهولها وأنهارها وطقسها ونباتاتها، ومدنها، فأشار إلى أن أشهر مدنها مصوع، ثم تناول زراعتها وتجارتها، وأشار إلى كثرة الأغنام والأبقار عند القبائل الرُّحل، وأن أهم محاصيلها هي القطن والدخان والشاي، ثم تطرق إلى إدارتها الداخلية ونظامها التشريعي، فذكر أن التشريع الابتدائي موكول به إلى رؤساء القبائل و مشايخ الجهات والهيئات المشكلة من الأعيان، أما التشريع الاستئنافي فيختص به نائب عن الحكومة أو محاكم الأقاليم. بينما يتولى النقض والإبرام المحكمة العليا. وذكر أن الأوربيين يسري عليهم القانون الإيطالي، وقانون العقوبات هو القانون الإيطالي عدا بعض الحالات التي يستخدم فيها عادات وتقاليد الأهالي، ثم تناول وسائل الدفاع بهذه البلاد، فذكر أنها فِرق من جنود بعضهم من الإيطاليين والبعض الآخر من الوطنيين، ثم تناول تاريخ إريتريا بشكل مستفيض.

بينما تضمن الجزء الثاني " الرحلة إلى إفريقية الوسطى"، ما شاهده في " الكونغو البلجيكي، وتنجانيقا(تنزانيا) البريطانية، أنجولا البرتغالية"، وقد استهل حديثه عن تلك البلاد بما اكتنف رحلته من صعاب، ثم تحدث عن جغرافيتها، وحدودها ومساحتها

وعدد سكانها، ثم طقسها، وأهم حاصلاتها الزراعية، ثم أفرد صفحاتها لتاريخها وأحوالها السياسية، وما شاهده من عادات وتقاليد.

وأما الجزء الثالث فيرصد فيه رحلته إلى "شلاَّلات ڤيكتوريا، روديزيا(روديسيا)، صحراء كلاهاري، إقليم الكاب، أرخبيل ماديرا، جزيرة مالطة..."[121].

وهناك عدد من الملاحظات يمكن تسجيلها حول هذا العمل العلمي القيم ومنها:

– إن القارة الأفريقية في ذلك الوقت 1924–1925 كانت لاتزال ترزح تحت الاستعمار الغربي؛ لذا استخدم الأمير يوسف كمال المسميات السائدة آنذاك مثل الكونغو البلجيكي وروديسيا.

– صعوبة الرحلة في القارة الأفريقية آنذاك من حيث وعورة الطرق، وقلة الموانئ، وانعدام الأمن، وانتشار الأمراض، بحيث يمكن القول إن الإقدام على مثل هذه الرحلة في ذلك الوقت يعد ضربًا من المخاطرة والمغامرة.

– إن الكتاب الذي دونَّه الأمير يُعد من الكتابات الرائدة في وقت لم تكن مسألة الاهتمام بكتابة التاريخ الأفريقي من جانب أبنائها قد بدأت، ولاسيما وأن المعلومات المتوفرة حول القارة الأفريقية كانت قليلة جدًا، وحتى هذا القليل كان يشوبه الغموض والخيال. ناهيك عن أن الكتابات الأوربية حول أفريقيا، تناصر الإدارة الأوربية، وبعيدة عن الحياد التاريخي.

– إن هذه الكتابة عن أفريقيا من خلال الرحلة تعتبر مصدرًا أصيلاً مباشرًا، حيث شاهد الأمير بنفسه الأماكن والتقى بالناس وسمع منهم ثم كتب عن مشاهداته. وإن رجع أحيانًا إلى ما كتبه السابقون لمعرفة الخلفية التاريخية[122].

وكانت آسيا حاضرة في رحلات الأمير يوسف كمال، إذ قام برحلتين عامي 1913و 1915، نتج عنهما كتاب باللغة العربية من جزئين، حمل الأول **عنوان "سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913–1914"**، **والثاني "سياحتي في**

بلاد التبت الغربية وكشمير 1915 "، صدرت طبعته الأولى عن دار المعارف المصرية عام 1920، ثم صدرت طبعة جديدة، لكل جزء على حِدة ككتاب مستقل عن دار السويدي للنشر والتوزيع (أبوظبي) والمؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت)، عامي 2001، 2004، وقد حررهما وقدما لهما جمال ملحم، والرحلة الأولى قام بها المؤلف عشية الحرب العالمية الأولى، بينما الثانية أثناء تلك الحرب، وقام بسرد وقائعهما يومًا بيوم، وهما حافلتان بالإثارة والتشويق والتصوير الجميل للطبيعة والآثار، والأماكن، ومشاهد القنص والصيد، ووصف الحيوانات المختلفة وطباعها، وعادات البشر والأقوام الذين شاهدهم مع عرض لمفاهيمهم وطقوسهم الغريبة والمألوفة، فمثلاً عندما يدخل مسجد في إحدى المدن، يروي لنا ما يلي: " وجدت بالمسجد خادمًا مسلمًا، طلبت منه أن يتلو الفاتحة، فخجل وأبى، وهذا مثل غيره من مسلمي الهند والصين، حتى الترك والعجم والعرب لايدرون من الإسلام إلا اسم الله، واسم نبيه صلى الله وعليه وسلم والشهادة، وإذا زاد شيئاً على ذلك ففضل ومَّنة". وعندما يتحدث عن المعابد يصفها وصفًا مستفيضًا ودقيقًا[123].

وقد اختتم الأمير يوسف كمال الجزء الثاني الخاص برحلته الثانية بخطاب موجّه منه إلى الأمير كمال الدين حسين، احتوت على تقرير موجز عن رحلته، جاء فيه " أيها الأخ الأعز قد انتهت سياحتي الثانية في البلاد الهندية وكشمير وإقليم التبت الغربي، وهأنذا في وطننا العزيز من زمن، وقد غادرت الأقطار الهندية، ولكنني أشعر بأن كل ما رأته عيني مطبوع في مخيلتي، ومحفوظ في ذاكرتي، على تلك اللوحة الحافظة التي ما زالت تذكرني بتلك البحار الواسعة التي عبرتها، والبلاد الجميلة التي رأيتها، والجبال الشاهقة التي علوتها، والغدران العديدة التي شربت من مائها، والغابات الكثيفة التي نزلت بها، والحيوانات الوحشية التي طاردتها، وتلك الأمم المختلفة التي عاشرتها، وتلك العادات المختلفة التي شاهدتها، ووجدت من بينها ما يشبه ما هو معلوم عندنا، ومتبع في بلادنا، وما هو مجهول لنا لعدم وجوده عندنا. كل هذا يجول

بفكري أكثر من مرة في اليوم الواحد؛ ولذا رأيت ألاَّ يحرم منه أعزائي فسطرت رحلتي"[124].

ويذكر الأمير أن الحضارة والمدنية والرقي والتعليم ظاهر أثرها في المدن والأقاليم الساحلية، لوجود العنصر الأجنبي والاختلاط الناتج عن أعمال التجارة، وأن أهل الوسط والجنوب الشرقي أقل منهم بكثير في الرقي والثروة المالية، وأشد تعصبًا، وأكثر جهلاً، بينما وصف سكان الأقاليم الشمالية و الشمالية الغربية بالقول: " التربية هناك لا وجود لها أو تكاد تكون معدومة بالمرة، والقوم من الأشداء، ولكن أخلاقهم، أخلاق الشريرين في السطو، والنهب، والقتل، والسلب خصوصًا من يسكن منهم قي الأقاليم الجبلية"، وعندما تحدث عن سكان التبت، فأبرز أن أكثر صفاتهم هي الجبن والخضوع والجهل[125].

وسرد الأمير بعض العادات والتقاليد، فذكر أنه وجد لأحد الأمراء خمسين زوجة، وعلَّق على ذلك بالقول: "فأي شرع يسمح بذلك وهلاً كانت الحالة بخلاف ذلك لو كان أولئك المسلمون أكثر وقوفًا على أصول دينهم"، واستطرد يقول: " إنني كنت يوم أزور قصر الحاكم فدخلت حوشًا مستطيلاً على جوانبه غرف تطل أبوابها على الحوش فظننت أنها محلات للخيول، فسألت عن هذه الغرف العديدة بقولي هل هذه الإسطبلات الخصوصية، فتبسم وقال لا بل هي مساكن زوجات الأمير ويسمونه (زنانه) فقلت: كيف ذلك؟ فقيل لي: إن لحكام هذه البلاد مجوسًا كانوا أو مسلمين عادة كعادات حكامنا السابقين إلا إنها تختلف عنها في أنهم كلما سمعوا بشهرة جمال ابنة من بنات أهل البلدان والقرى استحضروها إلى قصرهم وأدخلوها مع نسائهم في هذه الحجر". وذكر حادثة أخرى عن كشمير فذكر أن حاكمها لايريد عمل سكة حديد فيها؛ خشية غلو أسعار السلع والمحاصيل على أبناء البلاد بسبب التصدير[126]..

وبعدما أنهى الأمير رحلته ودراسته لحالة الهنود وطباقتهم المختلفة، قال ناصحًا: " إن أمراء وحكام الهند في أشد الاحتياج إلى التعليم النافع، وذلك لأنهم مقيمون في

عزلة عن باقي الأمم والبلاد الراقية، ولا حظَّ لهم إلا في رؤية ومشاهدة ما يحيط بهم، وذلك بسبب عدم اختلاطهم واحتكاكهم بعالم آخر فهم في حالة خاصة تستحق اهتمامًا خاصًا"[127].

ب-التعريب

قام الأمير يوسف كمال بتعريب كتاب "**وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقية الشرقية**" تأليف المسيو جيان"[128]، وعنوانه الأصلي "Documents sur l'histoire, la géographie et le commerce de l'Afrique Orientale" وقد أوجزه في 517 صفحة، وطبعه بالقاهرة عام 1927، ويتكون الكتاب من مقدمة وخمسة أبواب فضلاً عن ملحق، وهو يلخص تاريخ شرق أفريقيا، بدءًا من عصر ما قبل التاريخ، حيث نزل العرب والفينيقيون بسواحلها، ثم العصر اليوناني والروماني وما نجم عنه من صلات بينها وبين الملاحين اليونانيين والرومانيين، وكذلك العصر الإسلامي، وما أنشاءه العرب لممالك مستقلة صغيرة على سواحلها، فضلاً عن فترة الاحتلال البرتغالي، وحكمهم في تلك السواحل، ثم الدور العُماني، وكيف انتزعوا السيادة من البرتغاليين، ليفتحوا بذلك عصراً جديداً لتلك السواحل، وقد تناول الكتاب كذلك عما يعرفه الصينيون من أمر بلاد أفريقيا الشرقية، ثم اختتم بملحق احتوى على تحقيق لبعض الأسماء والأعلام التي وردت به[129].

ويُعد هذا الكتاب مصدرًا وثائقيًا لدارسي منطقة شرق أفريقيا سواء في فترات ما قبل التاريخ ومرورًا بالتاريخ اليوناني والروماني والإسلامي وانتهاء بالتاريخ الحديث، وبالتحديد حتى عام 1698، وهو التاريخ الذي أخرج فيه البرتغاليون من شرق أفريقيا على يد عرب عمان[130].

إضافة إلى ما سبق، فقد شجع يوسف كمال الآخرين على ترجمة عدد من المصادر التاريخية المتعلقة بتاريخ أسرة محمد علي، وطبعها على نفقته الخاصة،

والتي كان من بينها كتاب "**الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر الأبيض (النيل الأبيض) الصادر بها أمر ساكن الجنان محمد علي والى مصر، بقيادة ربان الفرقاطة البكباشي سليم قبودان،** ملخص من المجموعة الرسمية للجمعية الجغرافية في عددها الصادر في يوليو سنة 1842، والذي قام بترجمته محمد مسعود عام 1922(المحرر الفني بوزارة الداخلية حينذاك)، وقد رأى يوسف كمال أن يباع هذا الكتاب بعشرين قرشًا، على أن يخصص عائده لملجأ الحرية[131].

ويأتي هذا العمل ليرصد الدور العمراني والحضاري للإدارة المصرية في السودان وأفريقيا، لاسيما في عصر محمد علي، ومحاولة كشف منابع نهر النيل، والتعرف على المجموعات السكانية وأوضاعهم في تلك المناطق من خلال تلك الرحلة التي قام بها سليم قبودان، والتي كانت ضمن ثلاث رحلات قام بها هذا الرجل، وقد بدأت تلك الحملة في 16 نوفمبر 1839، بقيادته، ويصف الكتاب هذه الرحلة وصفًا دقيقًا ومفصلاً [132].

علاوة على ذلك، هناك كتاب "**مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكن الجنان محمد علي باشا وإبراهيم باشا والمغفور له سليمان باشا الفرنسي من الوجوه الحربية والسياسية والقصصية**"، وعنوانه الأصلي L'Egypte Au Xixe Siècle, Histoire Militaire Et Politique, Anecdotique Et Pittoresque De Méhémet-Ali, Ibrahim-Pacha, Soliman-Pacha (Colonel Sèves), Par Edouard Gouin, 1847.، الذي رأى الأمير تعريبه، وعهد بالأمر إلى محمد مسعود، فصدرت الطبعة الأولى عام 1921، ثم الطبعة الثانية عام 1931 للمعرِّب نفسه، وقد أدخل تعليقاته الجيدة في هوامشه، ومن الملاحظ أنه لم يرد ذكر دار النشر في الطبعتين، واكتفى بأن الطبع تم في القاهرة، ثم صدرت الطبعة الثالثة عن مركز تاريخ مصر المعاصر بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة عام 2015. وهذا الكتاب يدون لتاريخ مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر "عصر

محمد علي" ، ويتكون من اثنى عشر بابًا (فصلاً) بالإضافة إلى تمهيد، ركَّز فيه المؤلف على إبراهيم باشا والكونيل سيف (سليمان باشا)، ثم يتعرض لتاريخ المصري القديم ويمجده، ويُعرج على حكم المماليك ثم ينتقل مباشرة لدخول مصر تحت الحكم العثماني وحكم على ومراد وإبراهيم بك، ثم الحملة الفرنسية وتبعاتها، وصولاً لاعتلاء محمد على منصة الحكم عام 1805، وما تمخض عن ذلك، ثم يفرد المؤلف صفحاته ليسجل حروب محمد على ضد الوهابيين وفي السودان وكذلك المورة والشام، وينهي كتابه بالفترة (1841-1847) [133].

وتُوجت جهود يوسف كمال في هذا المجال بترجمة محمد مسعود لكتاب "**لمحة عامة إلى مصر**" لمؤلفه كلوت بك، وعنوانه الأصلي Aperçu général sur L'EGYPTE, CLOT-BEY, Paris, 1840، وذلك عام 1923، والذي استعرض فيه موجزًا لتاريخ مصر منذ العصور التاريخية المختلفة بدءًا من العصور القديمة ومرورًا بالفرس والبطالمة والرومان، والعثمانيين، ثم الحملة الفرنسية ليصل إلى عصر محمد علي، وهو صلب الكتاب، وهي الفترة التي عاصرها المؤلف وعايشها، وكان شاهدًا عليها، ومن هنا تتجلى أهمية هذا الكتاب، الذي قسم إلى جزئين في طبعته الأولى:

شمل **الجزء الأول** تمهيدًا عن العصر الفرعوني، وديانة المصريين القدماء وحالتهم وعلومهم واقتصادهم، وحكم الفرس والبطالة والرومان، وحكم سلاطين المماليك والعثمانيين والحملة الفرنسية، وتولي محمد علي الحكم. وتحدث في الباب الأول عن الطبيعة الجغرافية لمصر، ورصد في الباب الثاني ثروات مصر الطبيعية من المعادن والنباتات والحيوانات، ويصف الباب الثالث السكان والمساكن والمدن والقرى في مصر، بينما تناول الباب الرابع الديانات والمذاهب الشائعة في مصر، والباب الخامس اختص بالشريعة الإسلامية.

أما **الجزء الثاني**، فقد بدأ بالباب السادس، وخصصه الكاتب لأخلاق وعادات مسلمي مصر من أغذية وآداب طعام وآثاث، وعمليات الختان والزواج والوفاة وتشييع الجنازات، والاعتقادات الباطلة والموسيقى، بينما يتناول الباب السابع العناصر الأخرى من سكان مصر كالعثمانيين والأقباط واليهود والعربان والأجانب. والباب الثامن يرصد الحكومة والأنظمة السياسية، والتاسع يتناول الزراعة والصناعة والتجارة، والعاشر يصف التعليم والمدارس، والحادي عشر يتحدث عن صحة المصريين وأمراضهم وطبهم، والثاني عشر يُبيَّن طرق المواصلات والنقل من ملاحة نيلية ووسائل نقل برية، وخصص الباب الثالث عشر للأشغال العامة مثل الترع والقناطر الخيرية وبرزخ السويس، والرابع عشر عن مركز مصر حيال أوربا، ثم الباب الخامس عشر وتناول فيه الأطلال والآثار المصرية القديمة وكذلك الآثار العربية الإسلامية، ثم اختتم المؤلف كتابه بالفصل السادس عشر والأخير، والذي خصصه للموازين والمقاييس والمكاييل والنقود[134].

وهكذا قدم لنا يوسف كمال سلسلة علمية لها قيمتها ووزنها لدارسي تاريخ مصر وأفريقيا وآسيا، فضلاً عن تشجيعه للآخرين بتعريب عدد من المصادر التاريخية المهمة الخاصة بتاريخ محمد علي، وقد تلاقت جهوده هذه مع جهود الملك فؤاد في الاهتمام بالكتابة التاريخية عن الأسرة العلوية، وخاصة الفرع الإبراهيمي، ولاسيما والده إسماعيل، وجده إبراهيم باشا، وبالطبع المؤسس محمد علي.

ثالثًا: هواياته:

- **رحلاته للصيد والاستكشاف**

لايذكر الأمير يوسف كمال إلا ويذكر ولعه بالصيد ورحلاته العلمية الجغرافية الكشفية، فلقد سافر إلى العديد من البقاع كالهند وكشمير والسودان وشرق ووسط أفريقيا والصحراء الكبرى، فكانت تلك الأسفار مادة غزيرة لمؤلفاته فهي تعد من أدب الرحلات في وصف الأماكن وجغرافيتها وبيئتها الطبيعية والسكانية ودعمها بالصور العديدة، ويكفي لبيان عشق الأمير بالصيد تلك الحيوانات المحنطة التي كانت تزين قصر المطرية، وكذلك الصورة الكبيرة المتواجدة بالقاعة الشمالية الشرقية بالطابق الأرضي للقصر، وكذلك حفلت صوره المعلقة – بقصره آنذاك- بالأمثلة على ذلك، ومنها صورة له وهو على صهوة جواده وأمامه كلاب الصيد وخلفه رفاقه على جيادهم، إلى جانب صوره، وهو يصطاد العديد من الحيوانات في مؤلفاته التي ذكرناها من قبل، ولا ننسى أن ذلك الولع بالصيد والترحال جعله مهتمًا بالعديد من العلوم مثل الأحياء والجغرافيا والتاريخ[135].

علاوة على ذلك قام الأمير بعدد من الرحلات الاستكشافية لاكتشاف أماكن مجهولة، وكان من بينها رحلته إلى جنوب الصحراء مرورًا بليبيا بصحبة الأمير كمال الدين حسين في 12 يناير 1924، وقد استعدا لهذه الرحلة الاستعداد التام، حيث استحضرا من فرنسا سيارات قادرة على تسلق المرتفعات والتلال، وكذلك المهندسين الأكفاء الذي رافقوا البعثات الفرنسية الاستكشافية لتلك المناطق، وقطعت هذه الرحلة في سبعة أيام متتالية، وكان الغرض منها التوصل إلى اكتشاف جهات لم يصل إليها المكتشفون بعد، وقد تحقق ذلك[136].

- **اقتناء الآثار والتحف**

يُعد الأمير يوسف كمال أحد أكبر هواة جمع واقتناء التحف والمخطوطات والمنسوجات الأثرية، وقد ضم قصره بالمطرية مجموعة كبيرة من الصور والرسوم والتماثيل والآثار القديمة قلَّ أن يحرزها غيره، فقد كان شغوفًا بارتياد البلاد المختلفة والأماكن القاصية لجمع التحف والآثار الثمينة، كما كان له رجال يطلعونه على الآثار النفيسة التي تُعرض للبيع، إما علنًا أو بصفة خاصة لحاجة أصحابها للمال(137)، وقد حفل قصر المطرية بمجموعات قيمة من اللوحات والتماثيل لمشاهير الفنانين في العالم، ومن الأواني الخزفية الأثرية الثمينة، وأفخر أنواع السجاد، كان لكل منها قصة ترويها، فكان في مدخله ثلاثة تماثيل، لفتت الأنظار بهيئاتها الغربية، وبما امتازت به كل منها من روعة فنية بارزة، وقوة تعبير عن الفكرة التي صنعت لتسجيلها. وكان أول هذه التماثيل تمثال مصنوع من المرمر الأبيض الناصع، وفيه يبدو أحد الأمراء الرومانيين القدماء، واقفًا وقفة تفيض بالكبرياء، أما التمثال الثاني، فهو تحفة فنية أثرية يابانية كبيرة القيمة، وقد أبدعه صاحبه الفنان مسجلاً إحدى الأساطير المقدسة في اليابان. بينما يمثل التمثال الثالث قديسة يابانية اسمها "سيدا" كانت في أول أمرها غادة فاتنة واسعة الثراء، ثم رأت في منامها كأنها خرجت من قصرها للتريض كعادتها، وفي عودتها ضلت الطريق، ووجدت نفسها في مكان مقفر أحاطت بها فيه وحوش كثيرة كادت أن تفتك بها لولا أن أنقذها أحد الآلهة وهداها إلى الطريق بعد أن عاهدته على ترك حياتها المترفة والتفرغ للعبادة، فلما استيقظت من نومها هجرت قصرها، وعاشت بقية حياتها زاهدة متعبدة. وقد عنى الأمير يوسف كمال بإحاطة هذه التماثيل بمصابيح ضخمة على الطراز الياباني، مما زاد في روعتها وجمالها(138).

وكثيرة هي اللوحات الفنية التي ضمتها مجموعة يوسف كمال بذلك القصر، وفي مقدمتها لوحة سماها الفنان الإيطالي الذي رسمها " الأمل والإيمان والفقر" وهي تمثل عامِلاً فقيرًا مهلهل الثياب، ولكنه قوي النفس والعزيمة، وقد اشترى يوسف كمال هذه اللوحة في إحدى رحلاته إلى إيطاليا بألف جنيه(139).

وقد أولى يوسف كمال عناية خاصة بعرض الحيوانات والطيور(الأسود والفهود والقرود والغزلان) التي كان يصطادها في رحلاته، بعد تحنيطها، وقد وضع في بهو قصره وعلى سلالمه الرخامية عشرات منها في أوضاع مختلفة، تظهرها وكأنها ما زالت حية. وهذا عدا مئات الرءوس والقرون والجلود التي زينت بها الجدران. أما التحف الأخرى من الأواني الخزفية النادرة، والمخطوطات وأنواع السجاد والمنسوجات الفاخرة، فقد حفل القصر بمجموعات قيمة من كل منها، وكان من بين الأواني الخزفية التي حفل بها آنية دقيقة الحجم من الخزف نقشت عليها بعض الآيات القرآنية بخط جميل، قدر ثمنها حينذاك بـ3 آلاف جنيه، كما قدرت مجموعة أخرى ضمها دولاب خاص بنحو 14 ألف جنيه، وكان من بين أنواع السجاد التي بالقصر، سجادة صغيرة للصلاة، كتبت عليها بالنسج الدقيقة آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وقد اشتراها الأمير بمبلغ 3.500 جنيه، وقدر ثمنها فيما بعد بأكثر 12ألف جنيه[140].

إضافة إلى ماسبق، حظيت دار الآثار المصرية (المتحف المصري فيما بعد) بجل اهتمامه، حيث قام بوقف حجرة بقصر المطرية، احتوت على تحف أثرية ذات مواد وعصور تاريخية مختلفة، بلغت عددها 395 قطعة في 14 فبراير 1927، واشترط الأمير أن لا تباع ولا تستبدل، بل تنتقل بعد وفاته إلى متحف الفن الإسلامي، على أن يكون هو ناظر الوقف ثم من بعده ناظر الأوقاف المصرية، وإن تعذر يكون قاضي المسلمين الشرعي[141].

وقد أولى عنايته بدار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامي فيما بعد)، وذكر أمين دارها على بهجت الأمثلة على ذلك، التي كان من بينها أنه التقى الأمير في إحدى السنوات بباريس، وقد عرضت هناك آنذاك بعض التحف الأثرية للبيع، فجرى بينهما حديثًا، وكان مما ذكره للأمير: " إنه يعز عليَّ يا سمو الأمير أن تباع هذه اللقطة لغير مصر فتبقى نائية عن دار الآثار العربية"، فأجابه يوسف كمال بما فحواه " هوّن عليك يا بهجت بك فالتحفة ستزدان بها غرف متحفنا وستكون فاتحة لهدايا غيرها"،

وبرَّ الأمير بوعده وقدم التحفة إلى دار الآثار، ثم ضم إليها كثيرًا مما ورثه عن والده، وتوالت هداياه المختلفة، وكانت هذه التحف مفرقة في القاعات، كل واحدة في القاعة التي تحتوي على نوعها فهذه في قاعة الزجاج والثانية في قاعة السجاد والثالثة في قاعة الفسيفساء وهكذا، إلى أن قررت الدار جمعها في قاعة واحدة باسمه[142].

- **اقتناء الكتب**

تميز الأمير يوسف كمال بثقافته الرفيعة، واطلاعه الواسع، وحرصه الشديد على اقتناء المؤلفات العلمية، وكانت مكتبته بقصر المطرية شاهدة على ذلك، فقد احتوت على مجموعات كبيرة من الكتب القيمة في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية، والتي قدر عددها عام 1928 بقرابة 5455 مجلدًا[143]. زد على ذلك إهداءاته المتنوعة إلى المؤسسات العلمية في مصر مثل دار الكتب المصرية، التي أهداها في عام 1925 مجموعة قيمة من الكرات الأرضية يعود تاريخ صناعتها إلى ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلادي، إضافة إلى عدد من الأطالس الجغرافية القديمة التي ترجع إلى بداية عهد الطباعة في أوربا، وبعض الخرائط الجغرافية والمخطوطات التي يعود تاريخها للقرن الرابع عشر الميلادي[144].

وعقب قيام ثورة يوليو تم مصادرتها مع باقي مكتبات الأسرة المالكة، وتم توزيعها، ولم يتبق في مكتبة قصره الكائن الآن مركزًا لبحوث الصحراء سوى ما يقرب من 295 كتابًا عربيًا وأجنبيًا[145]، ويمكن تقسيم مكتبة الأمير إلى أربع مجموعات: المجموعة الأولى: وتمثل حوالي 60% من إجمالي ما تحويه المكتبة وهي تتناول تاريخ وجغرافيا كثير من بلدان العالم سواء في القارة الأفريقية أو الهند أو البلدان العربية، ومن أهم الكتب في هذا المجال كتاب وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية Description de L'Égypte. بينما المجموعة الثانية: والتي تقدر بنحو 20% من الكتب التي تحتويها المكتبة، تشمل الموسوعات العلمية: البريطانية والإيطالية والزراعية الحديثة،

ودائرة المعارف العربية. وتتناول المجموعة الثالثة: والتي تمثل 15% من إجمالي محتويات المكتبة الفنون الجميلة. بينما المجموعة الرابعة وقد شغلت 5% هي عبارة عن مجموعات متسلسلة من الكتب المتخصصة تخصصًا دقيقًا، فهناك مجموعة للخيول، وأخرى للأسماك، وثالثة للطيور، وغيرها[146].

إضافة إلى ذلك، نقل جزء كبير من مكتبته هذه إلى دار الكتب عقب ثورة يوليو، يقدر بنحو 2360 كتابًا، منها 1651 باللغة العربية تمثل 70% من المجموعة و709 باللغات الأجنبية وتمثل 30% من المجموعة، ويعرض منها بالقاعة الملكية – تحت مسمى مكتبة الأمير يوسف كمال- 665 كتابًا منها 499 باللغة العربية، و166 باللغات الأجنبية، وهي تغطي مجالات العلوم المختلفة، ولا سيما الجغرافيا والتاريخ[147].

- **هوايات واهتمامات أخرى**

عُرف عن الأمير يوسف كمال عشقه للغناء والموسيقى، وكان من عاداته في حفلات الطرب التي يقيمها أن يكون شخصًا عاديًا، ولا يرى مانعًا في أن يكون أحد "السنيده" للمطرب إذا أجاد في فنه وأبدع[148]. كان مطربه المفضل محمد عبدالوهاب، حتى إنه عرض عليه 300 جنيه شهريًا ليغني له وحده، إلى جانب مغني تركي يدعى دينر نور الدين، كان يستقدمه من بلاده لإقامة الحفلات بقصره بالمطرية[149].

ونجد الأمير مهتمًا أيضًا بالنشاط الرياضي، فكانت رياضته المفضلة بجانب القنص والصيد رياضة البولو، وكان عضوًا بالنادي الأهلي، وفي عام 1940 نظم مسابقة لألعاب القوى (قفز ووثب وسباق ورمي بالرمح) على أرض النادي الأهلي تحت اسم كأس الأمير يوسف كمال، وقد اشتركت بها الكثير من الأندية والهيئات الرياضية في مصر[150].

وبرع الأمير يوسف كمال في التصوير الشمسي، فآلة التصوير كانت بمثابة صديقه الحميم الذي لايفارقه، إذ لم يقل ولعه بهذا الفن عن ولعه بالصيد والفروسية، وقد امتلك مجموعة ثمينة من آلات التصوير تجاوز ثمن بعضها مائة جنيه، التقط بها مئات الصور للمناظر الطبيعية وكذلك الحيوانات المفترسة بعد الإيقاع بها في رحلاته في قارتي أفريقيا وآسيا، إلى جانب حرصه على تصوير الأمراء والأميرات كلما اجتمع بهم[151].

إضافة إلى ذلك أجاد وأتقن الأمير رياضة الفروسية وركوب الخيل[152]، وتولى الرئاسة الشرفية لنادي الفروسية، وقد شارك في حفلة افتتاحه عام 1938 في حضور الملك فاروق، بعرض على جواده الخاص، استعرض خلاله مهاراته، ومن ضمن ما قام به محاولته القفز بشرب كوب من الماء وهو يقفز بجواده، وقفزه بجواده فوق حاجز مشعل بالنار، وقد نجح في محاولتيه، وهو الأمر الذي لقي استحسان وإعجاب الملك. وكانت رئاسة الأمير ومشاركته بعروضه هذه بمثابة دعم قوي لهذه الرياضة، ودعاية لها[153].

رابعًا: العمل الخيري

كان للأمير يوسف كمال إسهاماته المتنوعة في العمل الخيري سواء من خلال أعمال الوقف على الجمعيات الخيرية والمؤسسات العلمية، وتقديم التبرعات المالية لها، أو من خلال رئاسته وإدارته إياها. إذ تولى رئاسة جمعية الهلال الأحمر المصري في أكتوبر 1912، إلى أن استقال منها في ديسمبر 1915، متعللاً بكثرة أعماله الخاصة، وقد كان للجمعية نصيب وافر في حجج وقفه، كما أسهم مع باقي الأمراء في تدعيم الجمعية الخيرية الإسلامية والنهوض بها، حيث تبرع لها عام 1908 بمبلغ 250 جنيهًا، وكذلك تبرع لها بأراضٍ من أجود أطيانه بالقليوبية، وتولى رئاستها (1915–1918) وخلال تلك الفترة، أغدق عليها الكثير من أمواله، ووقف

العديد من الأفدنة لدعم أنشطتها الخاصة بإعانة الفقراء والنهوض بالتعليم. كما شارك الأمراء بعمل لجنة لإعانة منكوبي الحرب العالمية الأولى عام1918، وقد ساعدت هذه اللجنة مصابي ثورة 1919[154].

إضافة إلى ماسبق، تعددت إسهامات الأمير الخيرية في الجمعيات الخيرية المختلفة الإسلامية والمسيحية، وكذلك ملاجئ الأيتام، ومبرة محمد علي، وزاد على ذلك بإنشائه مستشفى المطرية، إذ تبرع بأرض مساحتها فدانان ليقام عليها مبنى المستشفى، كما خصص مبلغًا قدره 15 ألف جنيه لإنشائها، وذلك لعلاج المرضى بالمجان[155]، وكذلك تبرعه لبناء مستشفى لعلاج المرضي بقنا بمبلغ ألف جنيه[156].

وكان لأوقاف الأمير الخيرية دور مهم في النهوض بالمجالات الاجتماعية المختلفة، وقد بلغت جملة ما أوقفه عام 1951على العمل الخيري 7.947 فدانًا و17 قيراطًا و16 سهمًا، واشترط أن يصرف نصف ريع هذا الوقف على الجامعة المصرية فيما يلزمها من مهمات ولوازم ومصاريف وأداوت، وغير ذلك من أمورها وحاجاتها بشكل مستمر ودائم، وإن زالت هذه الجامعة واندرست ولم يوجد ما يحل محلها أو كانت موجودة وتعذر صرف النصف المذكور لها تعذرًا كليًا مطلقًا فيصرف على مستشفى قصر العيني ومدرسة الطب التابعة لها، وما يلزمهما من تجديد مبانٍ أو إنشاء مبانٍ جديدة بهما، وذلك للارتقاء بحالة التعليم والعلاج فيهما، وخصوصًا لجعل المستشفى التابع للمدرسة المذكورة مماثلاً لأحسن المستشفيات الحديثة الأوربية، وكذلك لشراء الأدوات والعقاقير والأدوية وغيرها مما يحتاج الحال إليه لهما، وطالب كذلك – إن زاد الإيراد على المصروفات التي تلزم لما ذكر– إنشاء مستشفيات أخرى صغيرة تكون تابعة لتلك المدرسة فيما يرى من باق مدن وقرى مصر بما لايزيد عن الإيراد[157].

أما النصف الآخر من باقي ريع هذا الوقف فقرر الأمير صرفه على عدد من المؤسسات الأخرى، وهي الجمعية الخيرية الإسلامية، لتوفير مهمات ومصاريف

ومدارسها وتلاميذها بشكل مستمر ودائم، واشترط تحسين حالة القسم الخاص بالبنات، لاهتمامه بتعليم البنات، وإن لم يكن بها قسم خاص بذلك، فينشأ لهن قسم تتعلمن فيه جميع الأشغال اليدوية بإتقان والقراءة والكتابة واللغة العربية ولغتين أجنبيتين، وكذلك الآداب العامة والمعيشة المنزلية والعناية بالأطفال ومبادئ علم الطب وكيفية الاعتناء بالمرضى والهندسة والحساب وعلم التاريخ، على أن تكون مدة الدراسة خمس أو ست سنوات حسبما يقتضيه الحال، ويكون التعليم بالمجان؛ فضلاً عن جمعية العروة الوثقى بالإسكندرية وذلك لتوفير ما يلزمها وهي ومدارسها على الدوام، وكذلك مدرسة محمد علي الصناعية بالأسكندرية، كما اشتركت كل من مدرستي الفنون الجميلة والمدرسة الابتدائية بنجع حمادي في ريع هذا النصف(158).

وبعد هذا شرط الأمير بعد حياته أن يصرف للجمعية الخيرية الإسلامية مبلغًا قدره عشرة آلاف جنيه، وكذلك الجامعة المصرية، وخصص لجمعية العروة الوثقى بالإسكندرية ومدرسة محمد على التابعة لها مبلغًا قدره ستة آلاف جنية، ومنح جمعيتي الهلال الأحمر والإسعاف المصري بالقاهرة ومبرة محمد علي لكل منها ألفا جنيه، وكذلك جمعية الأقباط والإسعاف بالإسكندرية وجمعية الإسرائيليين وجمعية تحسين حال العميان بجهة الزيتون بقسم الوايلي وجمعية الحمالين بالقاهرة والإسكندرية وغيرها من المدن المصرية، حيث خصص لكل واحدة منها ألف جنيه(159).

وهكذا سخَّر الأمير يوسف كمال إمكاناته المادية والأدبية لخدمة الوطن، فأسهم بدور إيجابي في الارتقاء والنهوض بالحياة الاجتماعية (تعليم وثقافة وعمل خيري) عبر العديد من الوجوه والقنوات.

خاتمة

بعد أن تناولنا بالدراسة شخصية الأمير يوسف كمال في ضوء عدة أُطر، يمكننا تسجيل عدد من النتائج، أهمها:

- كان للأمير يوسف كمال دور إيجابي فاعل في الحياة السياسية المصرية، إذ كان له آراؤه ومواقفه الإيجابية من الحركة الوطنية المصرية، فانحاز إلى جانب الشعب في المطالبة بتحقيق الاستقلال التام والكامل غير المنقوص، وبرز ذلك في العديد من المواقف منذ ثورة 1919، وما أعقبها من تطورات سياسية شهدتها الساحة المصرية، وتصريح 28 فبراير 1922، والأزمة الدستورية الأولى عام 1925، وكذلك الأزمة الثانية عام 1930، فأثار بذلك غضب الملك فؤاد، الأمر الذي انتهى بأزمة تنازله عن لقب الإمارة في حادثة تاريخية فريدة هي الأولى من نوعها في مصر، وفي

أسرة محمد علي. وإن أكدت المصادر عدم تحقق هذا الأمر فيما بعد؛ إلا إنه كان له من الصدى والمردود الكثير.

- وعلى الجانب الاقتصادي، مثَّل يوسف كمال قوة اقتصادية بما امتكله من مقومات ومخصصات عينية ومادية جعلته يعتلي الترتيب الثالث في قائمة أغنياء مصر عام 1921، زد على ذلك كان للأمير يوسف كمال جهوده للنهوض بالاقتصاد المصري، وقد تجلى ذلك عندما تولى رئاسة النقابة الزراعية المصرية العامة، لمدة ثلاث سنوات (1921– 1924)، ، وخلال فترة رئاسته حاولت النقابة التصدي لمشكلة أزمة القطن آنذاك من خلال عدد من الإجراءات الإيجابية، ونبرز منها فكرة إنشاء بنك زراعي يتولى مساعدة صغار الفلاحين، وقد التقطت الدولة الفكرة، ونفذتها فيما بعد بتأسيس بنك التسليف الزراعي.
- كان له إسهاماته الفاعلة في دعم الثقافة والفنون، فالأمير يوسف كمال هو مؤسس أول مدرسة للفنون الجميلة بمصرعام 1908، وهي سابقة على إنشاء الجامعة المصرية بعدة أشهر، وكان مقرها بقصر له يقع في حي درب الجماميز بالقاهرة ، واستقدم لها أساتذة من أوروبا على نفقته للتدريس لطلابها، بل امتدت إلى رعاية خريجها، إذ أوفد محمود مختار في بعثة لدراسة الفنون في باريس على نفقته الخاصة. وقد تخرج فيها الرعيل الأول للفنون في مصر.
- كان الأمير يوسف كمال أحد الرواد في تأسيس الجمعيات الفنية والثقافية في مصر، حيث كان أول رئيس لجمعية محبي الفنون الجميلة التي تأسست في مطلع العشرينيات من القرن الماضي، ومازالت تمارس دورها في الحركة الفنية والثقافية إلى يومنا هذا كأقدم جمعية فنية في مصر.
- وفي مجال التأليف العلمي، قَّدم إلينا الأمير يوسف كمال عددًا من المؤلَّفات العلمية الرصينة، لها قيمتها ووزنها، فهي تُعد مصدرًا رئيسًا لدارسي تاريخ أفريقيا

والهند وكشمير، لما احتوت عليه من مادة علمية غنية بالمعلومات والحقائق، والتي تناولت جوانب متعددة لعدد من بلدان أفريقيا وآسيا، فكان له السبق والتفرد فيما قدمه.

- أما في مجال التعريب فيعود إليه الفضل في نقل عدد من المصادر التاريخية والوثائقية المهمة من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية لينتفع به الباحثون، ولتكشف لنا جانبًا مهمًا من تاريخنا المصري والأفريقي الحديث.
- أسهمت أوقاف الأمير يوسف بدور مهم في دعم المؤسسات العلمية والثقافية والاجتماعية المصرية، ويكفي أنه أوقف ريع نحو ثمانية آلاف فدان، وهو ما يقرب من نصف أطيانه على عدد من المؤسسات العلمية والاجتماعية.
- وفي مجال العمل الخيري لم يتوان عن تقديم كافة سبل الدعم الأدبي والمعنوي للمؤسسات الخيرية المختلفة لتقوم بدورها التنموي داخل الوطن.
- كان الأمير يوسف كمال شديد الولع بالصيد والقنص والترحال، فارسًا وعاشقًا للفنون والآداب المختلفة، مغرمًا باقتناء الآثار والتحف والكتب العلمية، ولاتزال أعماله الباقية شاهدة على ما قدَّمه هذا الرجل من أجل النهوض بوطنه.
- كان الأمير يوسف كمال معتزّاً بمصريته، محبًا لوطنه، معطاءً، معتنقًا للفكر الإصلاحي والتقدمي، وقد جسدت أقواله وأفعاله ذلك.

مصادر الدراسة وحواشيها

(1) الديوان العالي السلطاني، س 1/27/8 (عائلة محمد علي الكبير) باللغة الفرنسية وعنوانه:
"Genedogie de la Dynastie de Mohamed Aly le Grand"
(2) http://lite.almasryalyoum.com/extra/72464/.

(3) الأهرام، العدد 18702، في 1937/1/18، ص8.

(4) الخارجية المصرية، أرشيف سري قديم، محفظة 542، ملف 10، كود أرشيفي 022535–0078، أمر ملكي رقم 3، في 18 يناير 1937.

(5) مجلس بلاط الملك، محفظة 40، ملف 1، كود أرشيفي 000492–0072، بعنوان قضية طلاق الأميرة كريمة ابنة المرحوم الأمير محمد عباس حليم، وثيقة 25/1، د. ت.

(6) الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج8، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص 246. وانظر أيضًا؛ جريدة العالم (جريدة سياسية اجتماعية أسبوعية)، السنة الأولى، 7 مارس 1927، ص2.

(7) الأهرام، العدد 29278، في 1967/2/7، ص1.

(8) عماد أبوغازي، أمينة عامر، المجموعة الكمالية في جغرافية مصر والقارة الأفريقية، مجلة عالم الكتاب والمعلومات، العدد 58، 59 (أبريل – يونيو/ يوليه– سبتمبر 1998)، ص 160.

(9) مصطفى مروان، برنس الجهات الأربع، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2002.

(10) باسم عادل، رواية 1935، دار سما للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.

(11) أمل محمد فهمي، أمراء الأسرة المالكة ودورهم في الحياة المصرية (1882–1928)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006، ص ص 180، 184، 188. وانظر أيضًا؛ المؤيد، العدد 6814، في 28 أكتوبر 1912، ص 5.

(12) يونان لبيب رزق، فؤاد الأول المعلوم والمجهول، سلسلة التاريخ: الجانب الآخر: إعادة قراءة للتاريخ المصري، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2005، ص 29.

(13) أمل محمد فهمي، مرجع سابق، ص 59.

(14) يونان لبيب رزق، فؤاد الأول المعلوم والمجهول، مرجع سابق، ص ص 28، 29.

(15) المرجع نفسه، ص ص 29، 30.

(16) الأخبار، العدد 1090، في 21 نوفمبر 1918، ص 1.

(17) عبدالعظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر (1918–1936)، ج1، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 198.

(18) أحمد شفيق، حوليات مصر السياسية، التمهيد (ج1)، ط2، تقديم ودراسة أحمد زكريا الشِّلق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012، ص ص 523، 524.

(19) وثائق عابدين، ملف بعنوان مذكرة مقدمة من كمال الدين حسين وآخرين من أمراء العائلة السلطانية إلى اللورد ملنر، د. ت. وانظر أيضًا عماد أبوغازي وأمينة عامر، مرجع سابق، ص 161.

(20) أحمد شفيق ، حوليات مصر السياسية، التمهيد (ج1)، مصدر سابق، ص ص 524، 525.

(21) المصدر نفسه، ص ص 525، 526.

(22) وثائق عابدين، محفظة 942، ملف 12، كود أرشيفي 026962–0069، ملف بعنوان تقارير عن مراقبة الأمير يوسف كمال سنة 1920.

(23) كان مقررًا في البداية عقد مؤتمر شعبي بحديقة الأزبكية، لتتاح الفرصة أمام أكبر عدد من المصريين للمشاركة، وقد منعته الحكومة، فتقرر الاستعاضة عنه باجتماع شبرد. الأخبار، العدد 222، في 1920/11/16، ص 2.

(24) الأهرام، العدد 13281، في 1920/11/16، ص 4.

(25) المصدر نفسه.

(26) أحمد شفيق ، حوليات مصر السياسية، التمهيد (ج1)، مصدر سابق، ص ص 698، 699.

(27) مذكرات سعد زغلول، ج11، إشراف وتحقيق وتقديم لطيفة محمد سالم، مركز تاريخ مصر المعاصر، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، 2015، ص 18.

(28) الأخبار، العدد 222، في 1920/11/16، ص 2.

(29) المصدر نفسه، العددان 223، 224، في 17/ 18 نوفمبر 1920، ص 2.

(30) الأمراء هم: كمال الدين حسين– محمد علي– يوسف كمال– عمر طوسون– إسماعيل داود – فاضل عثمان – عباس إبراهيم حليم – على فاضل – عمرو إبراهيم. أحمد شفيق، حوليات مصر السياسية، التمهيد (ج3)، ط2، تقديم ودراسة أحمد زكريا الشِّلق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012، ص 40.

(31) المصدر نفسه، ص ص 39، 40.

(32) أحمد شفيق ، حوليات مصر السياسية، التمهيد (ج3)، مصدر سابق، ص ص 102، 122.

(33) المصدر نفسه، ص ص 127، 128.

(34) الأهرام، العدد 13705، في 1922/3/28، ص 4.

(35) المصدر نفسه.

(36) وثائق عابدين، كود أرشيفي 009359–0069، عريضة مرفوعة من أصحاب السمو والمجد الأمراء والنبلاء بالتماس إعادة النظام النيابي، في 23 نوفمبر 1925. وانظر أيضًا عماد أبوغازي وأمينة عامر، مرجع سابق، ص 161.

(37) مصطفى أمين، من عشرة لعشرين، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، 1981، ص ص 115، 116.

(38) المرجع نفسه.

(39) المصور، العدد 393، في 4/22/ 1932، ص 2.

(40) تولت وزارة النحاس الأولى سُدة الحكم في الفترة من 16 مارس حتى 25 يونيو 1928، وأعقبتها وزارة محمد محمود الأولى (25 يونيو 1928–2 أكتوبر 1929). يونان لبيب رزق، تاريخ الوزارات المصرية 1878–1953، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1975، ص ص 312، 321.

(41) شكل إسماعيل صدقي وزارته الأولى خلال الفترة (19 يونيه 1930–4 يناير 1933)، وكانت أهم أعمالها دستور 1930، وإصدار قانون جديد للانتخابات نص على إلغاء مبدأ الانتخاب المباشر، وجعل الانتخابات على مرحلتين، على أن يختار الناخبون مجمعًا انتخابيًا، ثم يقوم أعضاء هذا المجمع بانتخاب البرلمان نيابة عن الناخبين، وقام صدقى بتأسيس حزب يسانده فأسس حزب الشعب (حزب القصر)، وأخذت الحكومة تروج له وتدعو الناس بمختلف وسائل الترغيب والترهيب للانضمام له، وفى مارس 1931 تشكل ائتلاف بين الوفد والأحرار الدستوريين صدر عنه ميثاق قومى تعاهد فيه طرفاه على مقاطعة الانتخابات والنضال لإعادة دستور 23 والحياة البرلمانية السليمة يونان لبيب رزق، تاريخ الوزارات المصرية 1878–1953، مصدر سابق، ص ص 354–360.

(42) مصطفى أمين، مرجع سابق، ص 255.

(43) جرت الانتخابات لتكوين البرلمان، طبقًا للدستور الجديد، وقاطعتها الجماعتان السياسيتان الرئيستان في البلاد (الوفد والأحرار الدستوريين)، وشارك فيها حزبا القصر (الشعب والاتحاد)، إضافة إلى الحزب الوطني الذي اتسمت علاقته بالقصر بالود خلال تلك الفترة، وكانت هذه الانتخابات " أشبه ما تكون بالتمثيلية، اشترك فيها رجال الإدارة اشتراكًا فعليًا ورتبوا الناجحين وغير الناجحين"، ومن ثم جاء البرلمان وفقًا لهوى الحكومة، ومن ثم أصبح في وادٍ والشعب في وادٍ آخر. يونان لبيب رزق، تاريخ الوزارات المصرية 1878–1953، مصدر سابق، ص 359.

(44) المرجع نفسه، ص 297.

(45) المصور، العدد 393، في 1932/4/22، ص 2.

(46) الأهرام، العدد 17009، في 1932/4/14، ص 7. وانظر أيضًا؛ مصطفى أمين، مرجع سابق، ص 297.

(47) مصطفى أمين، مرجع سابق، ص 297.

(48) ديوان جلالة الملك، محفظة 108، ملف 8، كود أرشيفي 0071–003646، مذكرة بشأن رغبة الأمير يوسف كمال الحصول على وثائق تاريخية، يناير 1949.

(49) للمزيد من التفاصيل حول انتفاضة 1935 انظر حمادة محمود إسماعيل، انتفاضة 1935 بين وثبة القاهرة وغضبة الأقاليم، دار الشروق، القاهرة، 2005.

(50) المصور، العددان 692، 695، في 1/14 و1938/2/4، ص ص 13، 14.

(51) مجدي العمروسي، محمد عبدالوهاب، الإنسان .. والفنان، دار الحياة، القاهرة، 1996، ، ص ص 221، 222.

(52) المرجع نفسه، ص ص 100، 198، 215.

(53) الأهرام، العدد 24127، في 1952/12/4، ص 1.

(54) المصدر نفسه، العدد 24200، في 1953/2/15، ص 9.

(55) يوميات الثورة (1952–1962)، إعداد فتحي فهمي، مصلحة الاستعلامات، د. ت، ص 16.

(56) الأهرام الاقتصادي، العدد 1631، في 2000/4/10، ص216.

(57) http://www.faroukmisr.net/p_yoseif_kamal.htm.

(58) مجلس بلاط الملك، محفظة 61، ملف 1، كود أرشيفي 0072–000893، بعنوان أوراق ومسودات ومذكرات عن مخصصات العائلة الجليلة من 1911–1920.

(59) استقى الباحث بيانات هذا الجدول من ملفات دار المحفوظات المصرية، دفاتر مكلفات الأطيان الخاصة بمديريتي قنا والقليوبية، وسجلات محكمة مصر الشرعية، وكذلك صحيفة الأهرام، وذلك وفقًا لما ورد في ملحق رقم(1) والذي يتناول بيانًا مفصلاً لتوزيع تلك الأراضي.

(60) الأهرام، العدد 18112، في 1935/5/3، ص2.

(61) المصدر نفسه، العدد 24200، في 1953/2/15، ص9.

(62) هو مهندس معمارى و مصمم مبان إيطالي اشتغل فى القاهره، وترقى لدرجة كبير مهندسين و مدير القصور الخديويه بعد وفاة ديمتريوس فبريسوس باشا فى عهد الخديوي عباس حلمى التانى.
https://en.wikipedia.org/wiki/Antonio_Lasciac

(63) محمد صلاح عبدالعاطي، أعمال الأمير يوسف كمال الباقية في مصر (دراسة آثارية معمارية فنية)، ج1، م1، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2010، ص ص 37–39. وانظر أيضًا محمد محمود الجوهري، قصور الرجعية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1962، ص 153.

(64) محمد صلاح عبدالعاطي، ج1، م1، مرجع سابق، ص ص 129–133.

(65) للمزيد من التفاصيل انظر محمد عبدالله محمد عبدالله، بدائع العمارة والفنون في روائع قصور أسرة محمد علي: قصر الأمير يوسف كمال، مكتبة أميرة للكمبيوتر والطباعة، القاهرة، 2000.

(66) محمد صلاح عبدالعاطي، ج1، م1، مرجع سابق، ص 261.

(67) المرجع نفسه، ص ص 129–133.

(68) المرجع نفسه، ص ص 137، 141، 157.

(69) المرجع نفسه، ص ص 301، 309.

(70) محمد عبدالله محمد عبدالله، مرجع سابق، ص 37.

(71) يوسف نحاس، جهود النقابة الزراعية المصرية العامة في ثلاثين عامًا، دار النيل للطباعة، القاهرة، 1952، ص ص 14، 15، 511، 512.

(72) أمل فهمي، مرجع سابق، ص ص 235، 236.

(73) الأخبار، العدد 358، في 24/4/ 1921، ص2.

(74) المصدر نفسه، العددان 348، 389، في 12 أبريل و31 مايو 1921، ص ص 2، 3.

(75) الأهرام، العدد 13667، في 1922/2/11، ص2.

(76) المصدر نفسه، العددان 13702،13703، في 23، 1922/3/24، ص2.

(77) تحققت هذه الخطوة عندما صدر مرسوم ملكي في 25 يوليو 1931 بتأسيس شركة مساهمة باسم " بنك التسليف الزراعي"، بهدف تقديم سلفيات للجمعيات التعاونية ولمتوسطي وصغار المزارعين لنفقات

الزراعة والحصاد. بنك التسليف الزراعي المصري شركة مساهمة مصرية، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، 1939، ص ص 1، 2، 10.

(78) أمل فهمي، مرجع سابق، ص ص 235، 236.

(79) محمد صدقي الجباخنجي، تاريخ الحركة الفنية في مصر إلى عام 1945، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص13.

(80) بدر الدين أبوغازي، مختار حياته وفنه " مع 44 صورة لأروع آثار مختار وصور تذكارية أخرى"، مطبعة مصر، القاهرة، 1949، ص ص 16، 17.

(81) الكتاب التذكاري للعيد المئوي لكلية الفنون الجميلة، كلية الفنون الجميلة بالقاهرة مائة عام من الإبداع 2008/1908، مؤسسة فارسي لرعاية الفنون والثقافة، 2008، ص 10.

(82) وثائق عابدين، محفظة 960، ملف 33، كود أرشيفي 027409–0069، كتيب عن مدرسة الفنون الجميلة المصرية لمؤسسها دولة البرنس يوسف كمال.

(83) محمد صدقي الجباخنجي، مرجع سابق، ص14.

(84) المرجع نفسه، ص15.

(85) أدخل الأمير يوسف كمال عدة تعديلات لاحقة على هذه الوقفية، فقرر ألا يتعدى عدد المبعوثين للخارج ثلاثة (أول كل قسم من أقسام المدرسة الثالثة)، وألا يرسلوا مباشرة بمجرد اجتيازهم امتحان السنة النهائية إلا بعد موافقة ناظر الوقف ورئيس إدارة الجامعة المصرية، ويكون ريع الوقف يسمح بذلك، وإذا لم يسمح الريع لسفر ثلاثتهم، فيعطى الأولوية في السفر لأوروبا لمن كان أكثر كفاءة في الفن المخصص له عن الاثنين الباقيين في الفنين المخصصين لهما، وبشرط أن لايرسل لأوروبا إرسالية أخرى حتى تتم الإرسالية الأولى مدة دراستها، وإن توفر ريع الوقف لارسال عدد أكثر فيتم ذلك بصفة استثنائية بدون أن يسبب عجزًا ماليًا يعوف سير العمل في المدرسة. كما اشترط الأمير بأن يرسل التلميذ المصري بغض النظر إلى ديانته، ويستمر لمدة الدراسة المعنية في تلك المدراس الأوروبية، حتى يحصل على الدبلوم في التخصص الذي أرسل إليه، ويتم أخذ العلوم بدون كسل وتهاون، وأن رفت بسبب التهاون فيرسل غيره، ويحصل على من أتم الدبلوم من الخارج على ميدالية الأمير التذكارية البرونزية. وعقب ذلك قام الأمير بتغيير ناظر الوقف بعد موته ليصبح ناظر المعارف المصرية، كما زاد بأن مدرسة الفنون الجميلة تتبع نظارة المعارف، وهي التي تقوم بعمل برامج التدريس بها، ويكون عدد التلاميذ المراسلين للخارج بحسب ما يسمح به إيراد الوقف، ولا يصرف الناظر الأموال المصروفة على المدرسة في أية مدرسة أخرى تابعة للنظارة، حتى وإن كانت تدرس الفنون. محمد صلاح عبدالعاطي، ج1، م2، مرجع سابق، ص ص 18–28.

(86) أشهادات محكمة مصر الشرعية، ميكروفيلم 23، سجل 256/256، نمرة 1120، ص ص 36–39. وللمزيد من التفاصيل انظر ملحق (3).

(87) الكتاب التذكاري للعيد المئوي لكلية الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص 15.

(88) كان من بينهم محمود مختار، محمد حسن، راغب عياد، يوسف كامل، المرجع نفسه، ص 13.

(89) محمد صدقي الجباخنجي، مرجع سابق، ص ص16، 17.

(90) محمود النبوي الشال، مها محمود النبوي الشال، محمود مختار رائد فن النحت المعاصر في مصر وتقديم أعماله الفنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص ص 22، 23.

(91) الأهرام، العدد 13085، في 1920/3/26، ص3.

(92) المصدر نفسه، العدد 13123، في 1920/5/11، ص2.

(93) الأخبار، العددان 354، 355، في 19، 20 أبريل 1921، ص 3.

(94) محمد صدقي الجباخنجي، مرجع سابق، ص ص 43، 44.

(95) الأخبار، العدد 1198، في 1924/1/23، ص1.

(96) أنشئت الجامعة الأهلية في 21 ديسمبر ١٩٠٨ ، وفي ١١ مارس ١٩٢٥ تغير اسمها إلى الجامعة المصرية ، وفى 23 من مايو عام 1940 صدر القانون رقم 27 بتغيير اسم الجامعة المصرية إلى جامعة فؤاد الأول، وفى 28 سبتمبر عام 1953 صدر مرسوم بتعديل اسم الجامعة من جامعة فؤاد الأول إلى جامعة القاهرة.

للمزيد من التفاصيل انظر أحمد عبدالفتاح بدير، الأمير أحمد فؤاد ونشأة الجامعة المصرية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008.

(97) دار المحفوظات المصرية، مكلفات الأطيان، مديرية القليوبية، مركز نوى، ناحية البركة، دفتر 5/386، المدة 1908–1921، مكلفة 26.

(98) أحمد عبدالفتاح بدير، مرجع سابق، ص ص 249، 256، 278.

(99) الأهرام، العدد9955، في 1910/12/10، ص1.

(100) أحمد عبدالفتاح بدير، مرجع سابق، ص ص 292– 298.

(101) مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير 1892–1914، ط1، دار الشروق، القاهرة، ص 162.

(102) محمود فوزي المناوي، جامعة القاهرة في عيدها المئوي (وقائع ووثائق وذكريات)، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2007، ص 84.

(103) عصام أحمد عيسوي، وثائق الجامعة المصرية "دراسة تاريخية أرشيفية وثائقية"، جامعة القاهرة، 2007، ص 233.

(104) الأهرام، العدد15631، في 1928/5/13، ص4.

(105) تقرير مرفوع إلى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل يوسف كمال من أحمد أمين وعبدالحميد العبادي المدرسين بكلية الآداب بالجامعة المصرية عن رحلتهما إلى الأستانة للبحث في مكاتبها عن المخطوطات العربية القيمة، في 1928/8/15. وللمزيد من التفاصيل انظر ملحق (4).

(106) أرشيف مجلس الوزراء، ملف 126–2/4، كود أرشيفي 086316–0081، بعنوان وقف مكتبة حضرة صاحب السمو الأمير يوسف كمال بمنزل سموه بالمطرية على الجامعة المصرية، مذكرة مرفوعة إلى مجلس الوزراء بتاريخ 1929/6/16.

(107) الأهرام، العدد 22505، في 1948/2/24، ص 4.

(108) أحمد موسى عبدالعظيم، تاريخ محافظة قنا من العصر الحجري إلى العصر الحديث، 1981، ص ص 172، 173.

(109) أشهادات محكمة مصر الشرعية، ميكروفيلم 23، سجل 256/256، نمرة 1120،ص ص36–39

(110) الأهرام، العدد 9618، في 1909/11/2، ص3.

(111) تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية رسميًا عام 1892 بالقاهرة، وسعت الحكومة إلى تعضيد الفكرة ورعايتها، وتبلورت فيما بعد فكرة الجمعية في اتجاه وضع أسس لحركة إصلاح اجتماعي واسعة تهدف إلى حل المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الفقراء، وهي الفقر والجهل والمرض، واعتمدت موارد الجمعية على التبرعات والاشتراكات والأوقاف ومساعدات الحكومة، وقد حققت منذ بدايتها شهرة واسعة، وانضم إليها الكثيرون، وكان للجمعية دور في التعليم، الذي كان بالمجان، فقد افتتحت في العام التالي لإنشائها أربعة مدارس في مدن القاهرة والأسكندرية وطنطا وأسيوط، ثم في بني مزار والمحلة الكبرى ودسوق عام 1918، وكذلك كان لها دور في البر بالفقراء وصرف إعانات شهرية له. حلمي أحمد شلبي، فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر" دراسة عن دور الجمعية الخيرية الإسلامية 1892–1952، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988 ص ص 34، 35، 36، 114، 149.

(112) المرجع نفسه، ص ص 87، 146.

(113) المرجع نفسه، ص ص 146–149.

(114) عماد أبوغازي وأمينة عامر، مرجع سابق، ص 161.

(115) الأهرام، العدد 18689، في 1937/1/5، ص 9.

(116) عماد أبوغازي وأمينة عامر، مرجع سابق، ص ص 162، 163.

(117) المرجع نفسه.

(118) المرجع نفسه، ص ص 163، 164.

(119)Youssouf Kamal, Quelques éclaircissements épars sur mes "Monumenta cartographica Africae et Aegypti", Leiden : E. J. Brill, 1935.
وانظر أيضًا الأهرام، العدد 18120، في 1935/5/11، ص7.

(120) أطلق الأمير يوسف كمال على سفينته اسم والداته تيمنًا بها.

(121) يوسف كمال، بالسفينة نازيرور حول القارة الأفريقية، ط1، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1928.

(122) حمدنا الله مصطفى حسن، أفريقيا في كتابات وأعمال الأمير يوسف كمال، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، 1994، ص ص 6، 7.

(123) يوسف كمال، سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913–1914"، ج1، "سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير 1915 "ج2، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1920.

(124) المصدر نفسه، ج2، ص 129

(125) المصدر نفسه، ص ص 129– 133.

(126) المصدر نفسه، ص ص 137، 140.

(127) الأهرام، العدد 17008، في 1932/4/23، ص 7.

(128) على الرغم من ذلك، ذكرت جريدة الأهرام أن يوسف كمال عهد في ديسمبر 1925 لمحمد مسعود بعمل التصحيح والتنقيح وترجمة أجزاء من هذا الكتاب إلى جانب كتاب بالسفينة نازيرور حول القارة الأفريقية، وقد حدث خلاف مادي بين الطرفين على التكاليف المادية للعملين، الأمر الذي انتهى برفع قضية من جانب الأخير، حُكم فيها لصالحه ضد الأمير. الأهرام العددان، 17643، 17764، في 1/20، 1934/5/24، ص ص 9، 2.

(129) المسيو جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية، نقله إلى العربية ملخصًا يوسف كمال، ط1، القاهرة، 1927.

(130) حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص20.

(131) الأهرام، العدد 13763، في 1922/7/7، ص 3.

(132) حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص ص 28، 29.

(133) جوان، إدوار، مصر في القرن التاسع عشر، تعريب محمد مسعود، تقديم لطيفة محمد سالم، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2015، ص ص 7–11.

(134) كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر ، تعريب محمد مسعود، د. ت. وانظر أيضًا؛ حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص 27. والأهرام، العدد 14166، في 1923/10/2، ص 4.

(135) محمد صلاح عبدالعاطي، ج1، م1، مرجع سابق، ص 27. وانظر أيضًا؛ جريدة العالم (جريدة سياسية اجتماعية أسبوعية)، السنة الأولى، 7 مارس 1927، ص2.

(136) زكي فهمي، صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص100.

(137) مجلة الدنيا المصورة، العدد 35، في 15 يناير 1930، ص8.

(138) مجلة الهلال، السنة 62، ج12، في أول ديسمبر 1954، ، ص ص 51–56.

(139) المصدر نفسه.

(140) المصدر نفسه.

(141) محمد صلاح عبدالعاطي، ج1، م2، مرجع سابق، ص 45.

(142) مجلة الهلال، السنة36، ج10، في أول أغسطس 1928، ص 1221.

(143) أرشيف مجلس الوزراء، ملف 126–2/4، كود أرشيفي 086316–0081، بعنوان وقف مكتبة حضرة صاحب السمو الأمير يوسف كمال بمنزل سموه بالمطرية على الجامعة المصرية، مذكرة مرفوعة إلى مجلس الوزراء بتاريخ 1929/6/16.

(144) الأهرام، العدد 14653، في 1925/4/24، ص4.

(145) قام الباحث بزيارة القصر ومكتبته، ورصد هذا الرقم من سجل مقتنيات مكتبة الأمير.

(146) حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص ص 2، 3.

(147) زينب محمد إسماعيل المقدم، مكتبات أسرة محمد علي بدار الكتب القومية دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماچستير غير منشورة، قسم المكتبات والوثائق وتقنية المعلومات (شعبة المكتبات)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2010، ص 118.

(148) جريدة العالم (جريدة سياسية اجتماعية أسبوعية)، السنة الأولى، 7 مارس 1927، ص2.

(149) مجدي العمروسي، مرجع سابق، ص ص 198، 215.

(150) المصور، العدد810، في 1940/4/19، ص 27.

(151) المصدر نفسه، العدد 797، في 1940/1/18، ص 5.

(152) كان الأمير عضوًا في جمعية المحافظة على الخيول العربية الأصيلة في مصر، والتي أسست عام 1912 تحت رعاية عباس حلمي الثاني ورئاسة الأمير محمد علي؛ فضلاً عن ذلك أولى الأمير عناية خاصة

بتربية الخيول. أحمد مبروك، رحلة إلى بلاد العرب، مطبعة عناني، مصر، د. ت، ص 48. وانظر أيضًا؛ عبدالعليم عشوب، تاريخ تربية الخيول العربية في مصر، مطبعة عناني، مصر، 1942، ص 26.

(153) المصور، العدد 708، في 1938/5/6، ص 14.

(154) محمد صلاح عبدالعاطي، ج1، م2، مرجع سابق، ص ص 17، 18. وانظر أيضًا؛ الأهرام، العدد 11021، في 1915/12/30، ص6.

(155) الأهرام، العدد 21590، في 1945/3/14، ص2.

(156) محمد عبداللاه محمد عبدالله، مرجع سابق، ص28.

(157) الأهرام ، العدد 23436، في 1951/1/2، ص ص 5، 9.

(158) المصدر نفسه.

(159) المصدر نفسه.

الملاحق

(1) جدول تفصيلي يوضح توزيع أطيان الأمير يوسف كمال.

(2) خريطة لمركز نجع حمادي.

(3) حجة وقف الأمير يوسف كمال على مدرسة الفنون الجميلة ومدرسة نجع حمادي الابتدائية في 5 يونيو 1909.

(4) تقرير مرفوع إلى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل يوسف كمال من أحمد أمين وعبدالحميد العبادي المدرسين بكلية الآداب بالجامعة المصرية عن رحلتهما إلى الأستانة للبحث في مكاتبها عن المخطوطات العربية القيمة، في 1928/8/15.

ملحق (1)

جدول تفصيلي يوضح توزيع أطيان الأمير يوسف كمال

المديرية	المركز	الناحية	مجموع الأطيان المكلفة على عهدته			المصدر
			س	ق	ف	
	نجع حمادي	نجع حمادي	5	22	487	دار المحفوظات، مكلفات الأطيان، سجل 174/9506ج3، المدة 1949-1961، مكلفة 214.
		القصر والصياد	14	14	1569	المصدر نفسه، س 96/5319، المدة 1949-1961، مكلفة 2882، 2883
		القبيبة والعسيرات	20	7	613	المصدر نفسه، س 91/5064ج13، المدة 1949-1961، مكلفة 1295، 1296
		العركي	8	5	798	المصدر نفسه، س75/4178ج9، المدة 1949-1961، المدة 49-61، مكلفة 887
		الحلفاية بحري	12	8	194	المصدر نفسه، س39/2219ج12، المدة 1949-1961،مكلفة 1184

		كوم البجا	16	9	458	المصدر نفسه، س171/9360ج-1211، المدة 1949-1961، مكلفة 539، 541
		الحفناوية	16	6	6	المصدر نفسه، س 2164، المدة 1949-1961، مكلفة 476، 477
		بهجورة	20	1	1016	المصدر نفسه، س 128/7113ج15، المدة 1949-1961، مكلفة 1445، 1469.
		الغربي بهجورة	20	23	167	المصدر نفسه، س 85/4760، المدة 1949-1961، مكلفة 2197.
		الشرقي بهجورة	14	3	165	المصدر نفسه، س 65/3606ج13، المدة 1949-1961، مكلفة 1204
		الأوسط سمهود	..	12	96	المصدر نفسه، س 17/1007، المدة 1940-1948، مكلفة 2042
		القبلي سمهود	..	23	54	المصدر نفسه، س 88/4920، المدة 1949-1961، مكلفة 1122
		الغربي بالسلمية	9	2	1658	المصدر نفسه، س84/4664ج13، المدة 1949-1961، مكلفة 1288، 1263.
		السلمية بالحائط	19	17	355	المصدر نفسه، س 61/3379ج27، المدة 1949-1961، مكلفة 590
		فرشوط والدهشة	15	8	1684	المصدر نفسه، س163/8950، المدة 1949-1961، مكلفة 3043، 3059
		النجوع	8	9	468	المصدر نفسه، س117/6519ج9، المدة 1949-1961، مكلفة 895
		رفاعة	..	8	127	المصدر نفسه، س147/8114ج8، المدة 1940-1948، مكلفة 790
		نجع عايد	..	..	1892	الأهرام، العدد 24200، في 1953/2/15، ص 9.
		المقالع	..	..	548	

	دشنا	حمرة دوم	20	13	473	دار المحفوظات، مكلفات الأطيان، س 138/7698ج5، المدة 1905-1909، مكلفة 235
	أبوطشت	الكوم الأحمر	6	14	1351	المصدر نفسه، س104/5785، المدة 1949-1961، مكلفة 1801، 1802
		بخانس	5	19	1005	المصدر نفسه، س 124/6906، المدة 1949-1961، مكلفة 1335، 1336
		الرواتب	..	16	2	المصدر نفسه، س53/2985، المدة 1949-1961، مكلفة 939، 951
		القارة والكرنك	..	10	513	المصدر نفسه، س87/4861، ا المدة 1949-1961، مكلفة 1384، 1399
		الرزقة	5	9	62	المصدر نفسه، س51/2815، المدة 1949-1961، مكلفة 1382، 1383
	الأقصر	الضبعة	..	19	155	المصدر نفسه، س71/3948ج5 المدة 1927-1939، مكلفة 414
		المريس	13	4	1892	المصدر نفسه، س 108/6006، المدة 1910-1926، مكلفة 491. وانظر أيضًا محمد صلاح عبدالعاطي، مرجع سابق، ج1، م2، ص ص 79-81.
المنيا	سمالوط	سمالوط	..	18	127	أشهادات محكمة مصر الشرعية، ميكروفيلم 23، سجل 256/256، نمرة 1120، ص ص 36-39.
الغربية	المحلة الكبرى	شبشير الحصة	8	22	74	محمد صلاح عبدالعاطي، مرجع سابق، ج1، م2، ص 280.
القليوبية	نوى	البركة	8	16	125	دار المحفوظات، مكلفات الأطيان، س 5/386، المدة 1908-1921، مكلفة 26.
	المطرية	المطرية	..	..	4	المصدر نفسه، س 21/1258ج11، المدة 1921-1937، مكلفة 876.

الإجمالي	21	11	18.152	

ملحق (2)

خريطة لمركز نجع حمادي

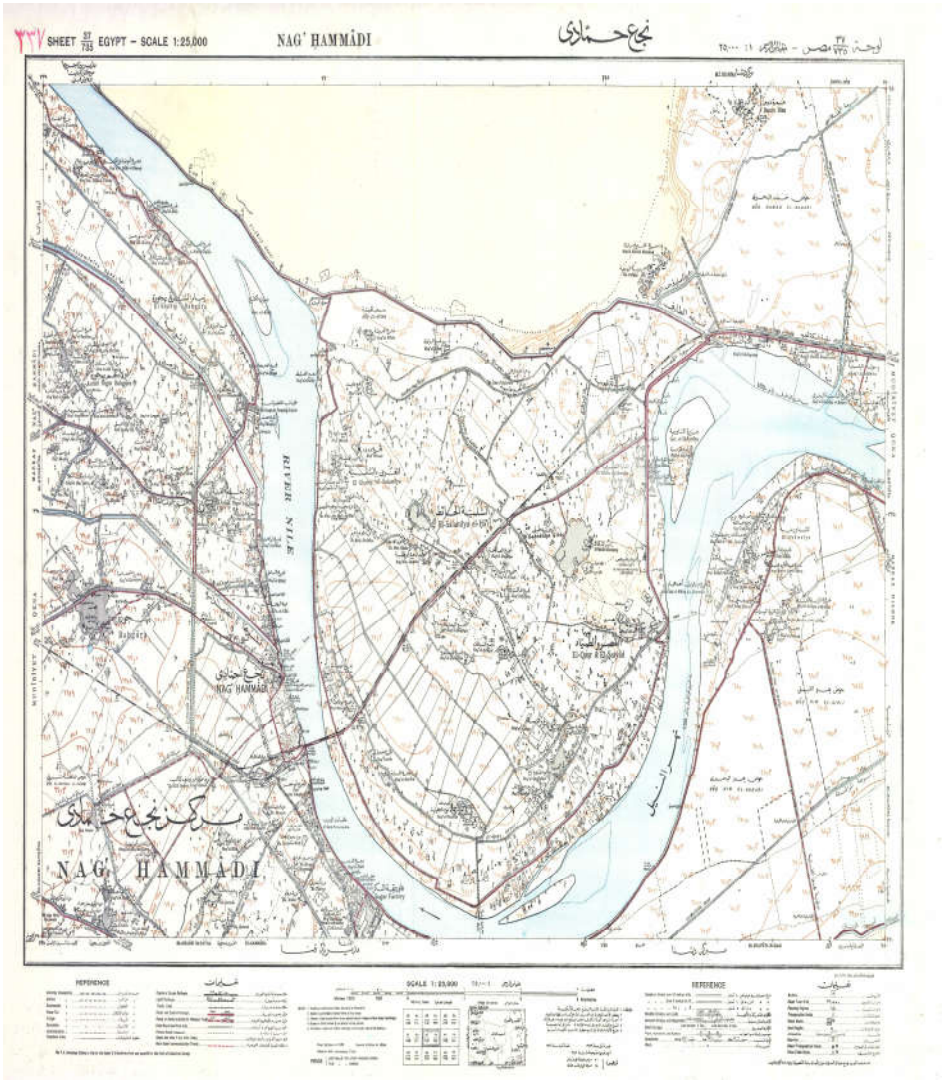

المصدر: مصلحة المساحة المصرية، أطلس القطر المصري (1953–1954)، لوحة رقم 735/37، مقياس رسم 1: 25.000، ط2، 1954.

ملحق (3)

حجة وقف الأمير يوسف كمال على مدرسة الفنون الجميلة ومدرسة نجع حمادي الابتدائية في 5 يونيو **1909**

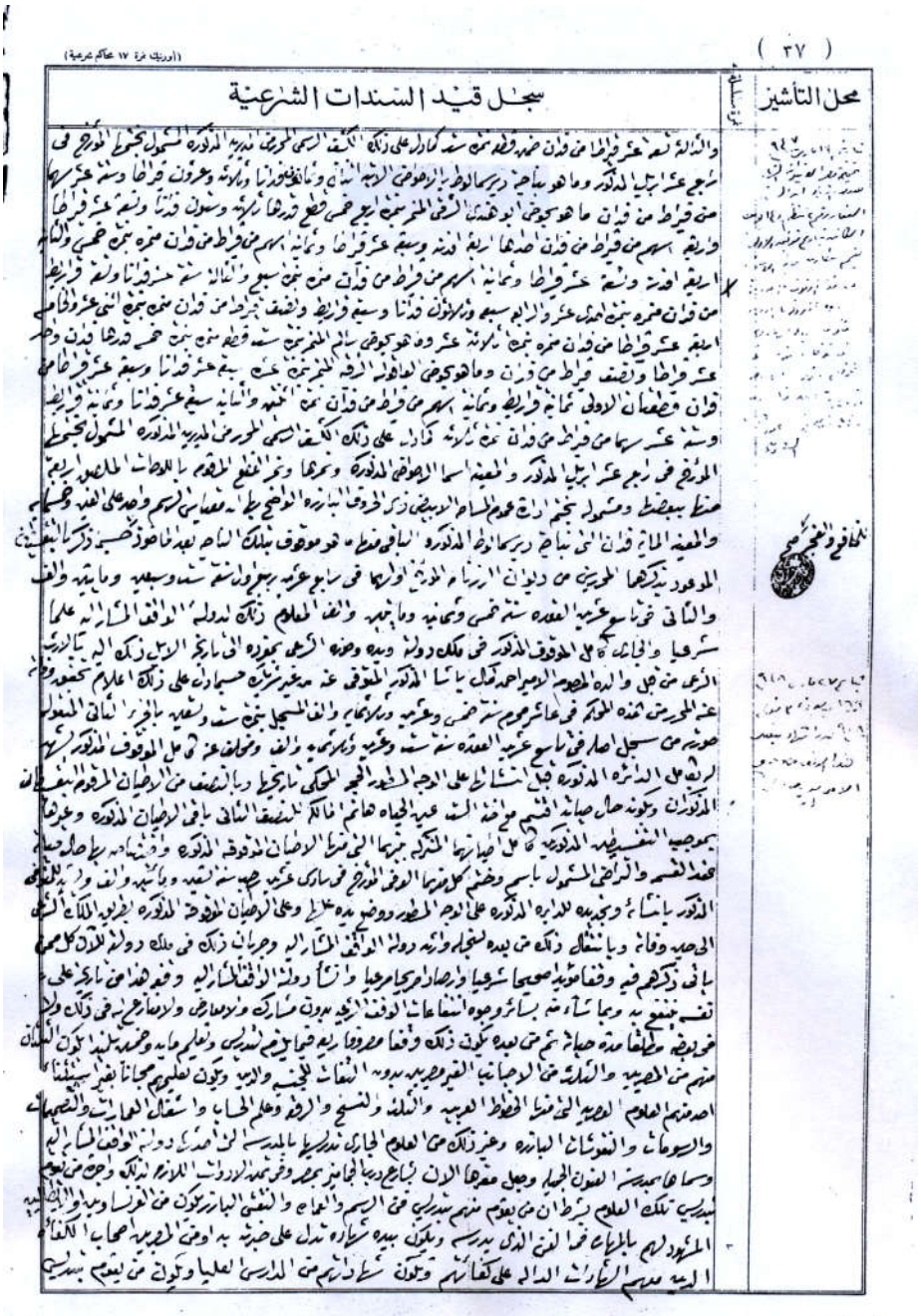

(٣٧)

(أوراق فرة ١٧ محاكم شرعية)

سجل قيد السندات الشرعية

محل التأشير

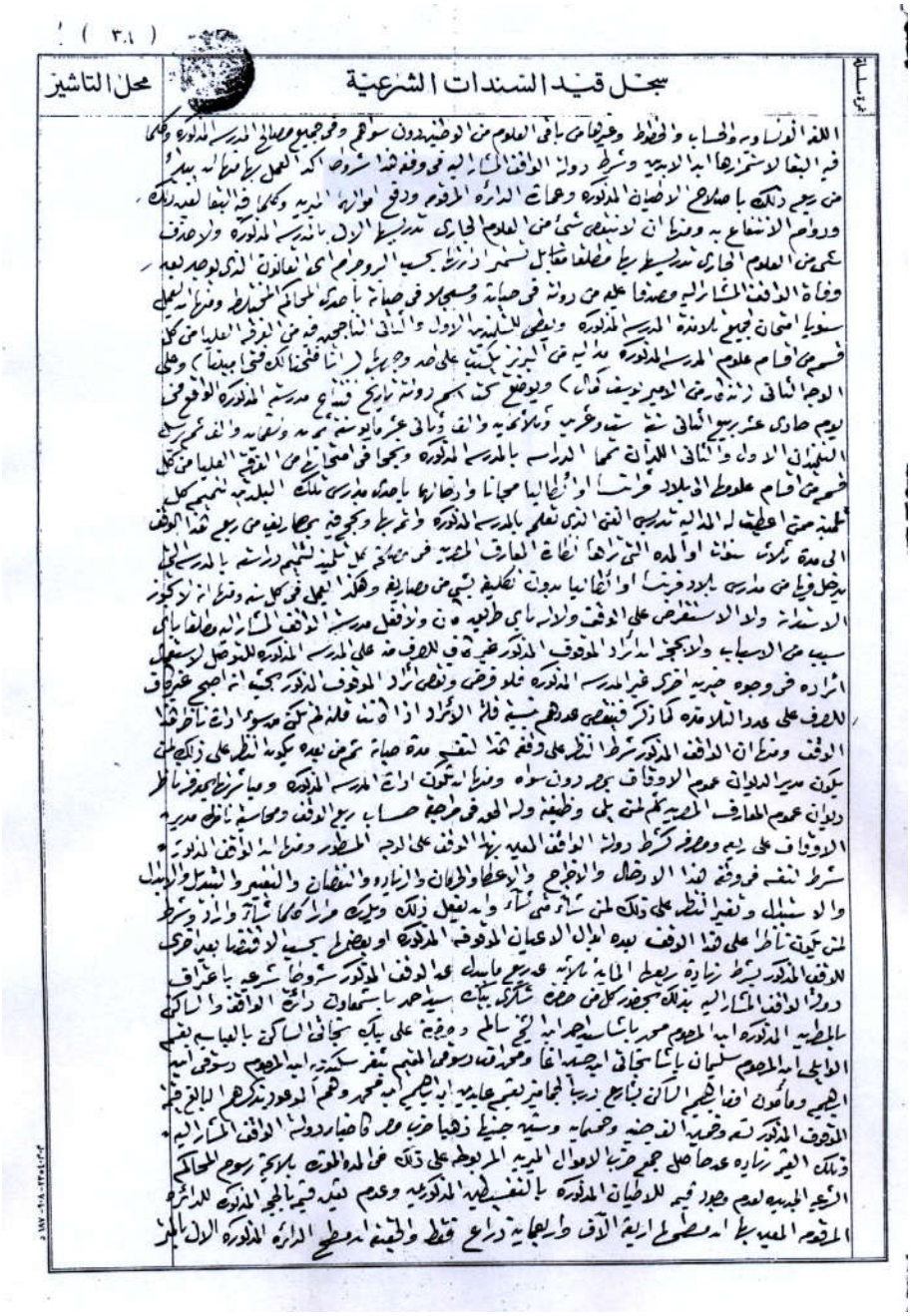
(٣٠١)

سجل قيد السندات الشرعية

محل التاشير

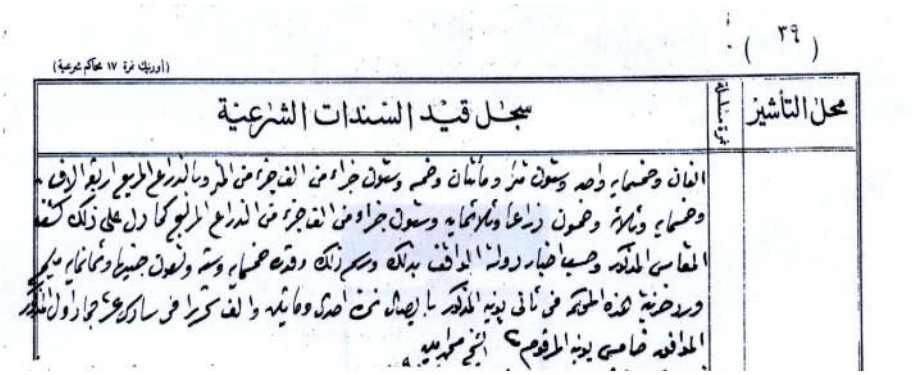
(٣٩)

(أوراق نمرة ١٧ محاكم شرعية)

محل التأشير	نمرة	سجل قيد السندات الشرعية

المصدر: أشهادات محكمة مصر الشرعية، ميكروفيلم 23، سجل 256/256، نمرة 1120، ص ص 36–39.

ملحق (4)

تقرير مرفوع إلى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل يوسف كمال من أحمد أمين وعبدالحميد العبادي المدرسين بكلية الآداب بالجامعة المصرية عن رحلتهما إلى الأستانة للبحث في مكاتبها عن المخطوطات العربية القيمة، في 1928/8/15.

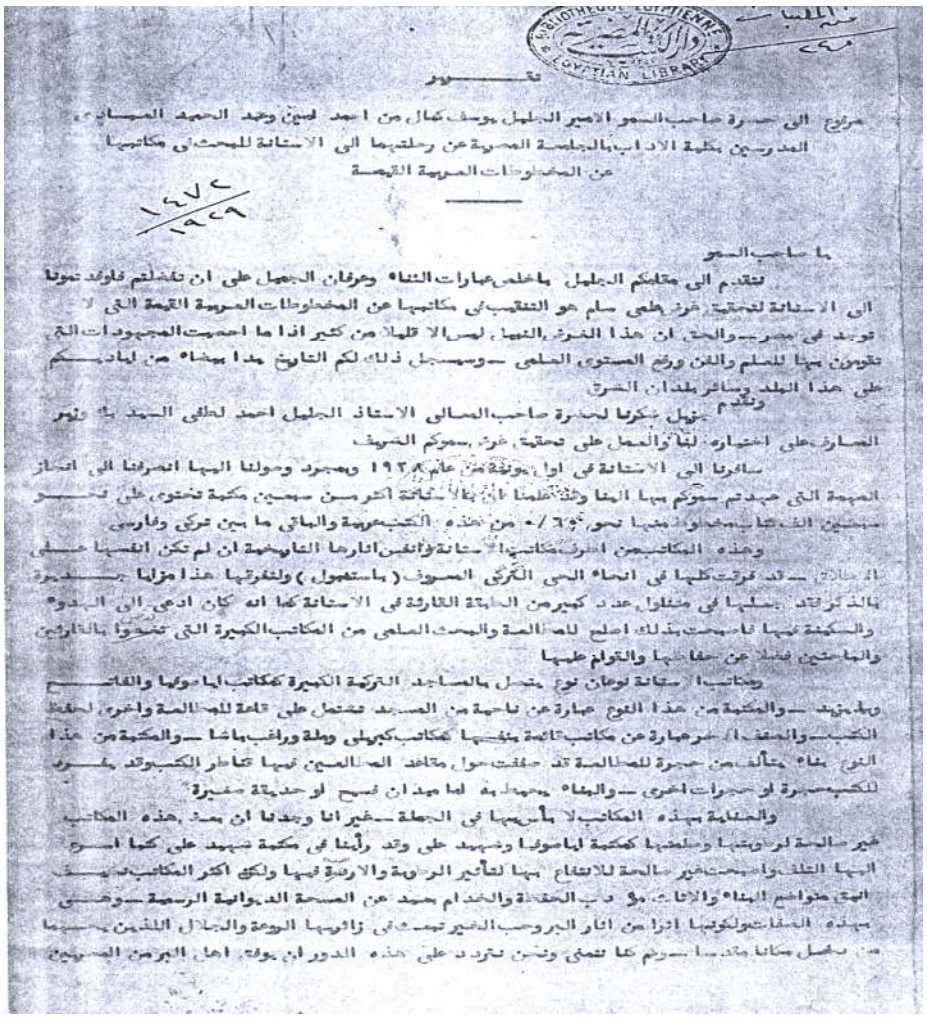

تقرير

مرفوع الى حضرة صاحب السمو الامير الجليل يوسف كمال من احمد امين وعبد الحميد العبادي المدرسين بكلية الاداب بالجامعة المصرية عن رحلتهما الى الاستانة للبحث في مكاتبها عن المخطوطات العربية القيمة

1928/8/15

يا صاحب السمو

نتقدم الى مقامكم الجليل باخلص عبارات الثناء وعرفان الجميل على ان تفضلتم فاوفدتمونا الى الاستانة لتحقيق غرض علمي سام هو التنقيب في مكاتبها عن المخطوطات العربية القيمة التي لا توجد في مصر — والحق ان هذا الغرض النبيل لم نر الا قليلا من كثير اذا ما احصيت المجهودات التي تقومون بها للعلم والفن ورفع المستوى العلمي — وسيسجل ذلك لكم التاريخ مذا بهاء من ايادي كم على هذا البلد وسائر بلدان الشرق

ونتقدم بجزيل شكرنا لحضرة صاحب المعالي الاستاذ الجليل احمد لطفي السيد باشا وزير المعارف على اختياره لنا والعمل على تحقيق غرض سموكم الشريف

سافرنا الى الاستانة في اول يونية من عام ١٩٢٨ وبمجرد وصولنا اليها انصرفنا الى انجاز المهمة التي عهدتم سموكم بها الينا وقد علمنا ان بالاستانة اكثر من سبعين مكتبة تحتوي على نحو سبعين الف كتاب بين مطبوع ومخطوط منها نحو ٦٥ ٪ من هذه الكتب عربية والباقي ما بين تركي وفارسي

وهذه المكاتب من امرها ان مكاتب الاستانة وان كان اشارها الفاوخمة ان لم تكن النفيسة على الاطلاق — قد فرقت كلها في انحاء الحي التركي المعروف (باستمبول) ولتفرقها هذا مزايا جديرة بالذكر فقد جعلها في متناول عدد كبير من الباحثة الدارسة في الاستانة كما انه كان ادعى الى الجدة والكمنة فيها فاصبحت بذلك اصلح للمطالعة والبحث العلمي من المكاتب الكبيرة التي تضجروا بالدارسين والباحثين فضلا عن حفاظها والقوام عليها

ومكاتب الاستانة نوعان نوع يتمثل بالمساجد التركية الكبيرة كمكاتب ايا صوفيا والفاتح وبايزيد — والمكتبة من هذا النوع عبارة عن ناحية من المسجد تشتمل على قاعة للمطالعة واخرى لحفظ الكتب — والمحفظة عبارة عن مكاتب ثابتة بنفسها كمكاتب كبريلي وطلة ورأغب باشا — والمكتبة من هذا النوع بناء يتألف من حجرة للمطالعة قد صفت حول مقاعد المطالعين فيها تقاطر الكتب وقد يضم للكتب حجرة او حجرات اخرى — والبناء يحمد به اما مبدان فسيح او حديقة غيرة

والصفة بهذه المكاتب لا بأس بها في الجملة — غير انا وجدنا ان بعض هذه المكاتب غير صالحة لوضع الكتب وحفظها كمكتبة ايا صوفيا وشهيد علي وقد رأينا في مكتبة شهيد علي كما اسلم اليها القائمون بها مخطوطات غير صالحة للانتفاع بها لتأثير الرطوبة والارضة فيها ولكن اكثر المكاتب الاخرى انيقة متواضع البناء والاثاث — وقد ساعد الحظ والخدام بعيد عن المساحة الديوانية الرسمية — وهذه الصفات ولاشك ادرا من اثار البر وحب الخير تمشت في زاويها الروعة والجلال اللذين يحسهما من يدخل مكانا مقدسا — ورغم كما نقضي ونحن نتردد على هذه الدور ان يوقن اهل البر من المرجوين

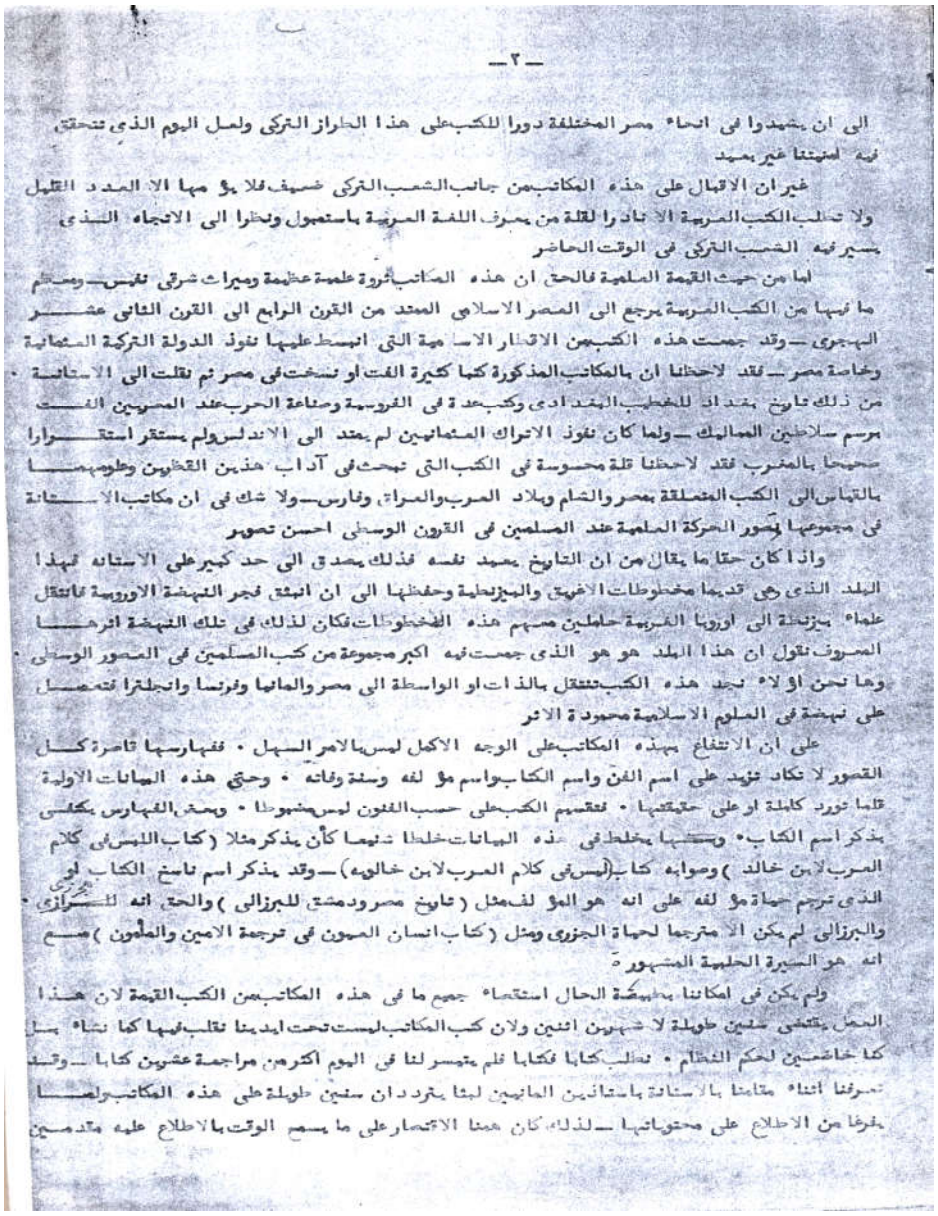

— ٢ —

الى ان يجمدوا فى انحاء مصر المختلفة دورا للكتب على هذا الطراز التركى ولعل اليوم الذى تتحقق فيه امنيتنا غير بعيد

غير ان الاقبال على هذه المكاتب من جانب الشعب التركى ضعيف فلا يؤمها الا العدد القليل ولا تطلب الكتب العربية الا نادرا لقلة من يعرف اللغة العربية باستعمول ونظرا الى الاتجاه الذى يسير فيه الشعب التركى فى الوقت الحاضر

اما من حيث القيمة العلمية فالحق ان هذه المكاتب ثروة علمية عظيمة وميراث شرقى نفيس — ومعظم ما فيها من الكتب العربية يرجع الى العصر الاسلامى الممتد من القرن الرابع الى القرن الثانى عشر الهجرى — وقد جمعت هذه الكتب من الاقطار الاسلامية التى انبسط عليها نفوذ الدولة التركية العثمانية وخاصة مصر — فقد لاحظنا ان بالمكاتب المذكورة كتبا كثيرة الفت او نسخت فى مصر ثم نقلت الى الاستانة . من ذلك تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وكتب عدة فى الفروسية وصناعة الحرب عند المسلمين الفت برسم سلاطين المماليك — ولما كان نفوذ الاتراك العثمانيين لم يمتد الى الاندلس ولم يستقر استقرارا صحيحا بالمغرب فقد لاحظنا قلة محسوسة فى الكتب التى تبحث فى آداب هذين القطرين وطوبهما بالقياس الى الكتب المتعلقة بمصر والشام وبلاد العرب والعراق وفارس — ولا شك فى ان مكاتب الاستانة فى مجموعها تصور الحركة العلمية عند المسلمين فى القرون الوسطى احسن تصوير

واذا كان حقا ما يقال من ان التاريخ يعيد نفسه فذلك يصدق الى حد كبير على الاستانة فهذا البلد الذى رعى قديما مخطوطات الاغريق والبيزنطية وحفظها الى ان انبثق فجر النهضة الاوروبية فانتقل علماء بيزنطة الى اوروبا الغربية حاملين معهم هذه المخطوطات فكان لذلك فى تلك النهضة اثر معروف نقول ان هذا البلد هو هو الذى جمعت فيه اكبر مجموعة من كتب المسلمين فى العصور الوسطى . وها نحن اولاء نجد هذه الكتب تنتقل بالذات او الواسطة الى مصر والمانيا وفرنسا وانجلترا فتحصل على نهضة فى العلوم الاسلامية محمودة الاثر

على ان الانتفاع بهذه المكاتب على الوجه الاكمل ليس بالامر السهل . ففهارسها قاصرة كل القصور لا تكاد تزيد على اسم الفن واسم الكتاب واسم مؤلفه وسنة وفاته . وحتى هذه البيانات الاولية قلما ترد كاملة او على حقيقتها . فتقسيم الكتب على حسب الفنون ليس مضبوطا . وبعض الفهارس يكتفى بذكر اسم الكتاب . وحسبها يخلط فى هذه البيانات خلطا شنيعا كأن يذكر مثلا (كتاب اللبس فى كلام العرب لابن خالد) وصوابه كتاب (ليس فى كلام العرب لابن خالويه) — وقد يذكر اسم ناسخ الكتاب او الذى ترجم حياة مؤلفه على انه هو المؤلف مثل (تاريخ مصر ودمشق للبرزالى) والحق انه للجزرى . والبرزالى لم يكن الا مترجما لحياة الجزرى ومثل (كتاب انسان العيون فى ترجمة الامين والمأمون) مع انه هو السيرة الحلبية المشهورة

ولم يكن فى امكاننا بطبيعة الحال استقصاء جميع ما فى هذه المكاتب من الكتب القيمة لان هذا العمل يقتضى سنين طويلة لا شهورا اثنين ولان كتب المكاتب ليست تحت ايدينا تقلب فيها كما نشاء بل كما خاضعين لحكم النظام . نطلب كتابا فكتابا فلم يتيسر لنا فى اليوم اكثر من مراجعة عشرين كتابا — وقد تعرفنا اثناء مقامنا بالاستانة باستاذين المانيين لبثا يتردادان سنين طويلة على هذه المكاتب رغبا من الاطلاع على محتوياتها — لذلك كان همنا الاقتصار على ما يسمح الوقت بالاطلاع عليه مقدمين

—٣—

ما هو الاهم فى تخزنا . وتاسين البحث على كتب التاريخ والجغرافيا والادب العربى والفلسفة . ولم نتعرض لكتب الفقه والتفسير والحديث والتصوف وغير ذلك من العلوم الدينية . كذلك قصرنا بحثنا على المكاتب المعروفة بانها اغنى مكاتب الاستانة واجمعها لنفائس الكتب — وهذه هى المكاتب التى كانت تحتل بحثنا خاصة

١ — مكتبة طوب قبو سراى — مكتبة ايا صوفيا — كبرللى — نور عثمانية — بايزيد — فى جامع (وتضم عدة مكاتب) — مكتبة الفاتح — السليمانية (وتضم بضع مكاتب) — مكتبة عاطف افندى — راغب باشا — شهيد على — مكتبة حلمية (وهى تضم عدة مكاتب) — المكتبة العمومية .

وقد بدأنا بمكتبة طوب قبو سراى وهى مكتبة خاصة لم يتهيأ بعد للجمهور الاطلاع عليها ولا يسمح بزيارتها الا باذن خاص — وبهذه المناسبة نذكر ما كان لتوصية سعوكم من الاثر الحسن فاننا عند ما قابلنا حضرة خليل بك ادهم مدير دار الاثار التركية والمشرف على هذه المكتبة وعرفناه اننا موفدون من قبل سعوكم استقبلنا استقبالا حسنا ووعدنا ان يسهل لنا زيارة المكتبة بعد ايام قلائل لاضطرارة الى السفر لانقرة فلما عاد سمح لنا بزيارة المكتبة واصى موظفيها ان يكونوا عونا لنا . وقد قضينا بهذه المكتبة وحدها نحو العشرين يوما . وفى الحق ان هذا الزمن قليل لنفاسة ما تشتمل عليه هذه المكتبة ولانفرادها بكتب لا توجد فى المكاتب الاخرى وحتى عندما نجد كتابا موجودا بها وبغيرها نجد غالبا ان نسخة طوب قبو سراى ممتازة اما بحسن خطها او تقدمها او خلوها غيرها من فهارسها للاسف قاصرة كل القصور ولا تزال بها كتب كثيرة قد وضعت فى صناديق خاصة لم يسمح لنا ببحثها . وكنا نعمل فى هذه المكتبة من الساعة العاشرة صباحا الى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر وبعد ذلك نشتغل فى المكاتب الاخرى التى سبق ذكرها

والخطة التى اتبعناها فى العمل هى اننا كنا نطالع فهارس الكتب فما ظنناه من الكتب القيمة ونرجح انه غير موجود بمصر نطلبه ونفحصه . وقد يتبين لنا بعد الفحص انه ليس كما ظننا او ليس كما يدل عليه الفهرس فنستغنى عنه . وقد يصعب حدسنا وعندئذ نتصفح الكتاب ونصفه فنذكر مؤلفه وعصره وموضوعه وتاريخ كتابته وقيمته العلمية وقد نورد اقتباسات من اوله واخره . وكنا نستعين على عملنا بما عندنا من فهارس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية وتقويم سعادة احمد زكى باشا وتفضل السيد محمد المنلاوى المتضمنين لما احضرناه من مكاتب الاستانة

ولما عدنا الى القاهرة قابلنا ما احضرنا وصفه من الكتب على ما فى دار الكتب المصرية فعسى ان يكون قد استجد فيها شىء مما احضرنا . وفعلا وجدنا بعض كتب قد استحضرتها دار الكتب من مكاتب الاستانة وغيرها ولم تثبتها بعد فى فهارسها المعمومة فحذفناها من كشفنا ولم نتحقق الان لمن موجودا بدار الكتب او كان موجودا ولكن نسخته ناقصة او اقل قيمة علمية من التى احضرنا وصفها . وقد اعاننا فى ذلك العمل صاحب السعادة مدير دار الكتب اذ ندب لنا فى هذه المهمة اخصائيين عالمين بالكتب العربية الموجودة بدار الكتب وهما الاستاذ الشيخ محمد عبد الرسول ومحمد افندى خضير فلهما منا فى المراجعة اعانة نسجلها لهما بالشكر

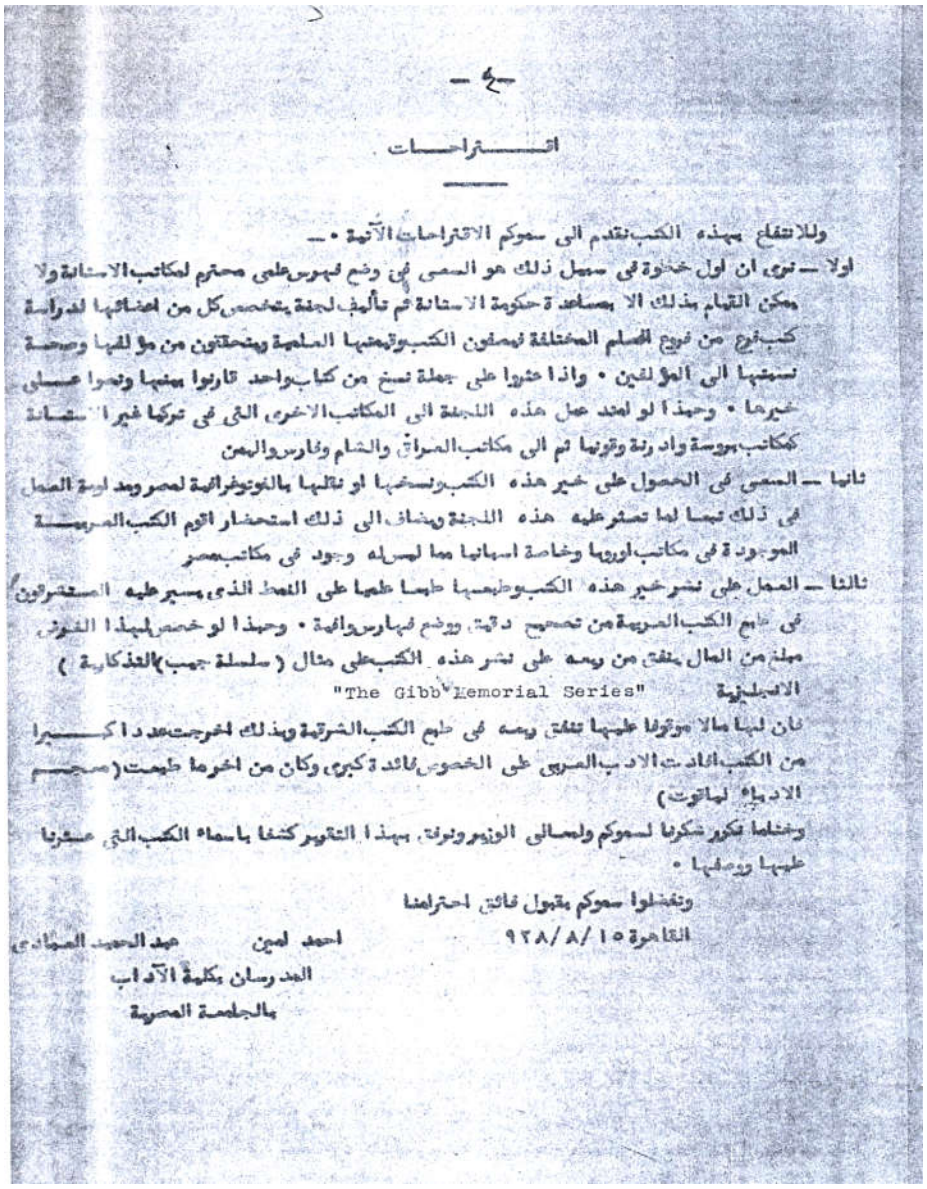

– ٤ –

اقـــــتراحـــات

وللانتفاع بهذه الكتب نقدم الى سموكم الاقتراحات الآتية :ـ

اولا ـ نرى ان اول خطوة فى سبيل ذلك هو السعى فى وضع فهرس علمى محترم لمكاتب الاستانة ولا يمكن القيام بذلك الا بمساعدة حكومة الاستانة ثم تألف لجنة يتخصص كل من اعضائها لدراسة كتب فرع من فروع العلم المختلفة فيصفون الكتب ويقيمونها العلمية ويتحققون من مؤلفيها وصحة نسبتها الى المؤلفين . واذا عثروا على جملة نسخ من كتاب واحد قارنوا بينها ونحوا عما سواها خيرها . وبهذا لو امتد عمل هذه اللجنة الى المكاتب الاخرى التى فى تركيا غير الاستانة كمكاتب بروسة وادرنة وقونيا ثم الى مكاتب العراق والشام وفارس واليمن

ثانيا ـ السعى فى الحصول على خير هذه الكتب ونسخها او نقلها بالفوتوغرافية لمصر ومد يد العمل فى ذلك تبعا لما تسفر عليه هذه اللجنة ويضاف الى ذلك استحضار اقوم الكتب العربية الموجودة فى مكاتب اوربا وخاصة اسبانيا مما ليس له وجود فى مكاتب مصر

ثالثا ـ العمل على نشر خير هذه الكتب وطبعها طبعا علميا على النمط الذى يسير عليه المستشرقون فى طبع الكتب العربية من تصحيح دقيق ووضع فهارس وافية . وبهذا لو خصص لهذا الغرض مبلغ من المال يتفق من ريعه على نشر هذه الكتب على مثال (سلسلة جب التذكارية) الانجليزية "The Gibb Memorial Series"

فان لها مالا موقوفا عليها تنفق ريعه فى طبع الكتب الشرقية وبذلك اخرجت عددا كبيرا من الكتب افادت الادب العربى على الخصوص فائدة كبرى، وكان من اخرها طبعت (معجم الادباء لياقوت)

وختاما نكرر شكرنا لسموكم ولمعالى الوزير ونرفق بهذا التقرير كشفا باسماء الكتب التى عثرنا عليها ووصلنا .

وتفضلوا سموكم بقبول فائق احترامنا

القاهرة ١٥ / ٨ / ٩٢٨

احمد امين — عبد الحميد العبادى

المدرسان بكلية الآداب بالجامعة المصرية